﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

تفسير سورة يوسف

قيل : هى مائة وإحدى عشرة آية . وهى مكية كلها [١] . وقيل : نزلت ما بين مكة والمدينة وقت الهجرة وقال ابن عباس فى رواية عنه وقتادة : إلا أربع آيات [٢] . وأخرج النحاس وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت سورة يوسف بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله . وأخرج الحاكم وصححه عن رفاعة بن رافع الزرقى ؛ أنه خرج هو وابن خالته معاذ بن عفراء، حتى قدما مكة ، وذكر قصة وفى آخرها : أن رسول الله ﷺ علمهما سورة يوسف ، و﴿اقرأ باسم ربك ﴾ [العلق : ١] ثم رجعا [٣] . وأخرج البيهقى فى الدلائل من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ؛ أن حبرًا من اليهود دخل على رسول الله ﷺ ، فوافقه وهو يقرأ سورة يوسف فقال : يا محمد ، من علمكها ؟ قال: « الله علمنيها » ، فعجب الحبر لما سمع منه ، فرجع إلى اليهود ، فقال لهم : والله إن محمدًا ليقرأ القرآن كما أنزل فى التوراة ، فانطلق بنفر منهم حتى دخلوا عليه فعرفوه بالصفة ، ونظروا إلى خاتم النبوة بين كتفيه ، فجعلوا سمعهم إلى قراءته لسورة يوسف فتعجبوا منه ، وأسلموا عند ذلك [٤] .

وأخرج الثعلبى عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « علموا أقاربكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها أو علمها أهله ، وما ملكت يمينه ، هون الله عليه سكرات الموت ، وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلمًا »[٥] . وفى إسناده سلام بن سالم ويقال : ابن سليم المدائنى، وهو متروك عن هارون بن كثير . قال أبو حاتم : مجهول ، وقد ذكر له الحافظ ابن عساكر متابعًا من طريق القاسم بن الحكم عن هارون بن كثير، ومن طريق شبابة عن مجلز بن عبد الواحد البصرى ، عن على بن زيد بن جدعان ، وعن عطاء بن ميمون عن زر بن حبيش ، عن أبى بن كعب مرفوعًا فذكر نحوه ، وهو منكر من جميع طرقه .

قال القرطبى : قال سعد بن أبى وقاص : أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زمانًا فقالوا : لو حدثتنا ، فنزل قوله تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث ﴾ [الزمر : ٢٣] [٦]

(١ ، ٢) القرطبى ٥ / ٣٣٤٧ .

(٣) صححه الحاكم ٤ / ١٤٩ ، ١٥٠ وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وقال الذهبى : « يحيى الشجرى صاحب مناكير » .

(٤) البيهقى فى الدلائل ٦ / ٢٧٦ .

(٥) قال ابن كثير فى تفسيره ٤/ ٥ : « وهذا من هذا الوجه لا يصح لضعف إسناده بالكلية » .

(٦) القرطبى ٨ / ٥٦٩٢ .

قال : قال العلماء : وذكر الله أقاصيص الأنبياء فى القرآن وكررها بمعنى واحد ، فى وجوه مختلفة بألفاظ متباينة على درجات البلاغة ، وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها ، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر ، ولا على معارضة غير المتكرر .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٥) وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) ﴾ .

قوله : ﴿ **الر** ﴾ : قد تقدم الكلام فيه فى فاتحة سورة يونس ، والإشارة بقوله : ﴿ **تلك** ﴾ إلى آيات السورة ، و﴿ **الكتاب المبين** ﴾: السورة ، أى تلك الآيات التى أنزلت إليك فى هذه السورة الظاهر أمرها فى إعجاز العرب وتبكيتهم. والمبين من أبان ، بمعنى بان ، أى الظاهر أمره فى كونه من عند الله وفى إعجازه ، أو المبين بمعنى : الواضح المعنى بحيث لا يلتبس على قارئه وسامعه ، أو المبين لما فيه من الأحكام .

﴿ **إنا أنزلناه** ﴾ : أى الكتاب المبين حال كونه ﴿ **قرآنا عربيا** ﴾ فعلى تقدير أن الكتاب : السورة تكون تسميتها قرآنا باعتبار أن القرآن اسم جنس يقع على الكل ، وعلى البعض ، وعلى تقدير أن المراد بالكتاب كل القرآن: فتكون تسميته قرآنا واضحة، و﴿**عربيًا**﴾صفة لـ﴿ **قرآنا**﴾ ، أى على لغة العرب ﴿**لعلكم تعقلون**﴾ أى لكى تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه.

﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾ القصص : تتبع الشىء ، ومنه قوله تعالى : ﴿وقالت لأخته قصيه ﴾ [القصص : ١١] أى تتبعى أثره وهو مصدر ، والتقدير : نحن نقص عليك قصصًا أحسن القصص ، فيكون بمعنى الاقتصاص، أو بمعنى المفعول ، أى المقصوص ﴿**بما أوحينا إليك** ﴾ أى بإيحائنا إليك ﴿ **هذا القرآن** ﴾ وانتصاب القرآن على أنه صفة لاسم الإشارة، أو بدل منه، أو عطف بيان،وأجاز الزجاج الرفع على تقدير مبتدأ، وأجاز الفراء الجر، ولعل وجهه أن يقدر حرف الجر فى ﴿ **بما أوحينا** ﴾ داخلاً على اسم الإشارة ، فيكون المعنى : نحن نقص عليك أحسن القصص بهذا القرآن ، ﴿ **وإن كنت من قبله لمن الغافلين** ﴾ : «إن» هى المخففة من الثقيلة بدليل اللام الفارقة بينها وبين النافية ، والضمير فى :﴿ **من قبله** ﴾ عائد على الإيحاء المفهوم من أوحينا ، والمعنى :أنك قبل إيحائنا إليك من الغافلين عن هذه القصة.

واختلف فى وجه كون ما فى هذه السورة هو أحسن القصص ، فقيل : لأن ما فى هذه السورة من القصص يتضمن من العبر والمواعظ ، والحكم ما لم يكن فى غيرها . وقيل : لما فيها من حسن المحاورة ، وما كان يوسف عليه من الصبر على أذاهم وعفوه عنهم . وقيل : لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والإنس ، والأنعام والطير ، وسير الملوك والمماليك ، والتجار، والعلماء والجهال ، والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن . وقيل : لأن فيها ذكر الحبيب والمحبوب ، وما دار بينهما . وقيل : إن ﴿ **أحسن** ﴾ هنا بمعنى : أعجب . وقيل : إن كل من ذكر فيها كان مآله السعادة .

قوله : ﴿ **إذ قال يوسف لأبيه** ﴾ « إذ » منصوب على الظرفية بفعل مقدر ، أى اذكر وقت قال يوسف . قرأ الجمهور : ﴿ **يوسف** ﴾ بضم السين ، وقرأ طلحة بن مصرف بكسرها مع الهمز مكان الواو ، وحكى ابن زيد الهمز وفتح السين ، وهو غير منصرف للعجمة والعلمية. وقيل: هو عربى ، والأول أولى بدليل عدم صرفه ﴿ **لأبيه** ﴾ أى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﴿ **يا أبت** ﴾ بكسر التاء فى قراءة أبى عمرو وعاصم وحمزة والكسائى ونافع وابن كثير ، وهى عند البصريين علامة التأنيث ولحقت فى لفظ أب فى النداء خاصة بدلاً من الياء وأصله: يا أبى، وكسرها للدلالة على أنها عوض عن حرف يناسب الكسر ، وقرأ ابن عامر بفتحها ؛ لأن الأصل عنده يا أبتا ، ولا يجمع بين العوض والمعوض ، فيقال : يا أبتى، وأجاز الفراء « يا أبت » بضم التاء ﴿ **إنى رأيت** ﴾ من الرؤيا النومية لا من الرؤية البصرية كما يدل عليه ﴿ **لا تقصص رؤياك على إخوتك** ﴾ .

قوله : ﴿ **أحد عشر كوكبا** ﴾ : قرئ بسكون العين تخفيفًا لتوالى الحركات ، وقرئ بفتحها على الأصل ﴿ **والشمس والقمر** ﴾ إنما أخرهما عن الكواكب لإظهار مزيتهما وشرفهما، كما فى عطف جبريل وميكائيل على الملائكة. وقيل : إن الواو بمعنى :« مع » ، وجملة : ﴿**رأيتهم لى ساجدين** ﴾ مستأنفة لبيان الحالة التى رآهم عليها . وأجريت مجرى العقلاء فى الضمير المختص بهم لوصفها بوصف العقلاء ، وهو كونها ساجدة ، كذا قال الخليل وسيبويه، والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل ، إذا أنزلوه منزلته . ﴿ **قال يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك** ﴾ الرؤيا مصدر رأى فى المنام ، رؤيا على وزن فعلى ، كالسقيا والبشرى وألفه للتأنيث ، ولذلك لم يصرف . نهى يعقوب عليه السلام ابنه يوسف عن أن يقص رؤياه على إخوته ؛ لأنه قد علم تأويلها وخاف أن يقصها على إخوته فيفهمون تأويلها ويحصل منهم الحسد له ، ولهذا قال : ﴿ **فيكيدوا لك كيدا** ﴾ وهذا جواب النهى وهو منصوب بإضمار أن ، أى فيفعلوا لك ، أى لأجلك كيدًا مثبتا راسخًا لا تقدر على الخلوص منه ، أو كيدًا خفيا عن فهمك . وهذا المعنى الحاصل بزيادة اللام آكد من أن يقال : فيكيدوا كيدا . وقيل: إنما جيء باللام لتضمينه معنى الاحتيال المتعدى باللام ، فيفيد هذا التضمين معنى الفعلين جميعا ، الكيد والاحتيال ، كما هو القاعدة فى التضمين ، أى يقدر أحدهما أصلاً

والآخر حالا . وجملة : ﴿ **إن الشيطان للإنسان عدو مبين** ﴾ مستأنفة ، كأن يوسف عليه السلام قال : كيف يقع منهم ؟ فنبهه بأن الشيطان يحملهم على ذلك : لأنه عدو للإنسان مظهر للعداوة ، مجاهر بها .

قوله : ﴿ **وكذلك يجتبيك ربك** ﴾ أى مثل ذلك الاجتباء البديع الذى رأيته فى النوم من سجود الكواكب والشمس والقمر يجتبيك ربك ، ويحقق فيك تأويل تلك الرؤيا ، فيجعلك نبيًا، ويصطفيك على سائر العباد ، ويسخرهم لك كما تسخرت لك تلك الأجرام التى رأيتها فى منامك ، فصارت ساجدة لك . قال النحاس : والاجتباء : أصله من جبيت الشىء حصلته ، ومنه : جبيت الماء فى الحوض جمعته . ومعنى الاجتباء : الاصطفاء ، وهذا يتضمن الثناء على يوسف ، وتعديد نعم الله عليه ، ومنها : ﴿ **ويعلمك من تأويل الأحاديث** ﴾ أى تأويل الرؤيا . قال القرطبى : وأجمعوا أن ذلك فى تأويل الرؤيا . وقد كان يوسف عليه السلام أعلم الناس بتأويلها . وقيل : المراد : ويعلمك من تأويل أحاديث الأمم والكتب. وقيل : المراد به : إحواج إخوته إليه . وقيل : إنجاؤه من القتل خاصة [١] .

﴿ **ويتم نعمته عليك** ﴾ فيجمع لك بين النبوة والملك ، كما تدل عليه هذه الرؤيا التى أراك الله ، أو يجمع لك بين خيرى الدنيا والآخرة ﴿ **وعلى آل يعقوب** ﴾ وهم قرابته من إخوته وأولاده ومن بعدهم ، وذلك أن الله سبحانه أعطاهم النبوة ، كما قاله جماعة من المفسرين ، ولا يبعد أن يكون إشارة إلى ما حصل لهم بعد دخولهم مصر ، من النعم التى من جملتها كون الملك فيهم ، مع كونهم أنبياء ﴿ **كما أتمها على أبويك** ﴾ أى إتمامًا مثل إتمامها على أبويك وهى نعمة النبوة عليهما ، مع كون إبراهيم اتخذه الله خليلا ، ومع كون إسحاق نجاه الله سبحانه من الذبح [٢] ، وصار لهما الذرية الطيبة وهم : يعقوب ويوسف وسائر الأسباط . ومعنى ﴿ **من قبل** ﴾ : من قبل هذا الوقت الذى أنت فيه ، أو من قبلك ، وإبراهيم وإسحاق عطف بيان لأبويك ، وعبر عنهما بالأبوين مع كون أحدهما جدًا وهو إبراهيم ؛ لأن الجد أب ﴿ **إن ربك عليم** ﴾ بكل شىء ﴿ **حكيم** ﴾ فى كل أفعاله . والجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها تعليلاً له، أى فعل ذلك لأنه عليم حكيم ، وكان هذا كلام من يعقوب مع ولده يوسف تعبيرًا لرؤياه على طريق الإجمال ، أو علم ذلك من طريق الوحى ، أو عرفه بطريق الفراسة ، وما تقتضيه المخايل اليوسفية .

وقد أخرج ابن جرير عن مجاهد فى قوله : ﴿ **تلك آيات الكتاب المبين** ﴾ قال : بين الله حلاله وحرامه . وأخرج ابن جرير عن معاذ قال : بين الله الحروف التى سقطت عن ألسن

---

(١) القرطبى ٥ / ٣٣٥٨ .

(٢) هذه من الإسرائيليات التى وقع فيها الإمام الشوكانى ، إذ الذبيح هو إسماعيل عليه السلام . انظر : الإسرائيليات والموضوعات فى التفسير ، ص ٣٥٦ .

الأعاجم ، وهى ستة أحرف . وأخرج الحاكم عن جابر أن رسول الله ﷺ تلا ﴿قرآنا عربيا﴾ ثم قال رسول الله ﷺ : « ألهم إسماعيل هذا اللسان العربى إلهامًا »[١] . وأخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد قال : نزل القرآن بلسان قريش ، وهو كلامهم .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : قالوا : يا رسول الله ، لو قصصت علينا ، فنزلت: ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ [٢] . وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود مثله . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة فى قوله : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ قال : من الكتب الماضية ، وأمور الله السالفة فى الأمم ﴿ وإن كنت من قبله ﴾ أى من قبل هذا القرآن ﴿لمن الغافلين ﴾ . وأخرج أبو الشيخ عن الضحاك ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ قال: القرآن .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ إنى رأيت أحد عشر كوكبا ﴾ قال : رؤيا الأنبياء وحى [٣] . وأخرج سعيد بن منصور والبزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والعقيلى ، وابن حبان فى الضعفاء ، وأبو الشيخ ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقى عن جابر بن عبد الله قال : جاء بستانى اليهودى إلى النبى ﷺ فقال: يا محمد، أخبرنى عن الكواكب التى رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها ؟ فسكت النبى ﷺ فلم يجبه بشىء ، فنزل عليه جبريل فأخبره بأسمائها . فبعث رسول الله ﷺ إلى اليهودى فقال : « هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها ؟ » قال : نعم ، قال : « خرثان ، والطارق ، والذيال ، وذو الكنفات ، وقابس ، ووثاب ، وعمودان ، والفيلق ، والمصبح ، والضروح ، وذو الفرغ ، والضياء ، والنور ، رآها فى أفق السماء ساجدة له ، فلما قص يوسف على يعقوب قال : هذا أمر مشتت يجمعه الله من بعد ». فقال اليهودى : إى والله إنها لأسماؤها [٤] . هكذا ساقه السيوطى فى الدر المنثور [٥] . وأما ابن كثير فجعل قوله : « فلما قص . . » إلخ رواية منفردة ، وقال : تفرد بها الحكم بن ظهيرة الفزارى وقد ضعفوه وتركه الأكثرون [٦] . وقال الجوزجانى : ساقط ، وقال ابن الجوزى: هو موضوع . وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله : ﴿ أحد عشر كوكبا﴾ قال : إخوته ﴿والشمس ﴾ قال: أمه ﴿ والقمر ﴾ قال : أبوه . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير عن السدى

---

(١) صححه الحاكم ٢ / ٤٣٩ وقال : « لم يخرجاه » ووافقه الذهبى وقال: « قلت: حقه أن يقول (م) ــ أى مسلم ــ ولكن مدار الحديث على إبراهيم بن إسحاق العيلى، وكان ممن يسرق الحديث ، رواه عن عبيد الله ابن سعد عن عمه يعقوب عن أبيه عن سفيان » .

(٢) ابن جرير ١٢ / ٩٠ .

(٣) ابن جرير ١٢ / ٩٠ وصححه الحاكم ٤ / ٣٩٦ على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبى .

(٤) ابن جرير ١٢/ ٩٠ ، ٩١ وصححه الحاكم ٤ / ٣٩٦ على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبى، والبيهقى فى الدلائل ٦ / ٢٧٧ .

(٥) الدر المنثور ٤ / ٤ .

(٦) ابن كثير ٤ / ٩ ، ١٠ .

نحوه أيضا. وأخرج ابن جرير عن ابن زيد نحوه أيضا .

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس: ﴿**وكذلك يجتبيك ربك**﴾ قال: يصطفيك[١]. وأخرج ابن أبى حاتم عن قتادة مثله. وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد ﴿ **ويعلمك من تأويل الأحاديث** ﴾ قال : عبارة الرؤيا . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن زيد ﴿ **ويعلمك من تأويل الأحاديث** ﴾ قال : تأويل العلم والحلم ، وكان يوسف من أعبر الناس . وأخرج ابن جرير عن عكرمة ﴿ **كما أتمها على أبويك** ﴾ قال : فنعمته على إبراهيم أن نجاه من النار ، وعلى إسحاق أن نجاه من الذبح [٢] .

﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾** ﴾ .

أى لقد كان فى قصتهم علامات دالة على عظيم قدرة الله ، وبديع صنعه ﴿ **للسائلين** ﴾ من الناس عنها ، وقرأ أهل مكة: « آية » على التوحيد ، وقرأ الباقون على الجمع واختار قراءة الجمع أبو عبيد . وقال النحاس : و « آية» هاهنا قراءة حسنة. وقيل : المعنى : لقد كان فى يوسف وإخوته آيات دالة على نبوة محمد ﷺ للسائلين له من اليهود ، فإنه روى أنه قال له جماعة من اليهود وهو بمكة : أخبرنا عن رجل من الأنبياء كان بالشام أخرج ابنه إلى مصر فبكى عليه حتى عمى ، ولم يكن بمكة أحد من أهل الكتاب ، ولا من يعرف خبر الأنبياء ، وإنما وجهوا إليه من أهل المدينة من يسأله عن هذا ، فأنزل الله سورة يوسف جملة واحدة كما فى التوراة[٣]. وقيل: معنى ﴿ **آيات للسائلين** ﴾ : عجب لهم. وقيل : بصيرة. وقيل : عبرة. قال القرطبى: وأسماؤهم يعنى إخوة يوسف : روبيل وهو أكبرهم ، وشمعون ، ولاوى، ويهوذا، وريالون، ويشجر ، وأمهم ليا بنت ليان ، وهى بنت خال يعقوب. وولد له من سريتين أربعة وهم: دان، ونفتالى، وجاد، وآشر، ثم ماتت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين ، وقال السهيلى : إن أم يوسف اسمها وقفا، وراحيل ماتت من نفاس بنيامين [٤]، وهو أكبر من يوسف .

﴿ **إذ قالوا ليوسف وأخوه** ﴾ أى وقت قالوا والظرف متعلق بكان ﴿ **أحب إلى أبينا منا** ﴾ والمراد بقوله : ﴿**وأخوه** ﴾ هو بنيامين ، وخصوه بكونه أخاه مع أنهم جميعا إخوته لأنه

---

(١) أصل الصفاء : خلوص الشىء من الشوب .

(٢) سبق التعليق على أن الذبيح هو إسماعيل ، وهذا من الإسرائيليات التى وقع فيها الإمام الشوكانى .

(٣، ٤) القرطبى ٥ / ٣٣٥٩ .

أخوه لأبويه كما تقدم . ووحد الخبر فقال : ﴿ **أحب** ﴾ مع تعدد المبتدأ ؛ لأن أفعل التفضيل يستوى فيه الواحد وما فوقه إذا لم يعرف ، واللام فى﴿ **ليوسف** ﴾ هى الموطئة للقسم وإنما قالوا: هذه ؛ لأنه بلغهم خبر الرؤيا فأجمع رأيهم على كيده ، وجملة :﴿ **ونحن عصبة** ﴾ فى محل نصب على الحال . والعصبة : الجماعة ، قيل : وهى ما بين الواحد إلى العشرة . وقيل : إلى الخمسة عشر . وقيل : من العشرة إلى الأربعين ، ولا واحد لها من لفظها ، بل هى كالنفر ، والرهط ، وقد كانوا عشرة ﴿ **إن أبانا لفى ضلال مبين** ﴾ أى لفى ذهاب عن وجه التدبير بالترجيح لهما علينا ، وإيثارهما دوننا مع استوائنا فى الانتساب إليه ، ولا يصح أن يكون مرادهم أنه فى دينه فى ضلال مبين .

﴿**اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا**﴾ أى قالوا: افعلوا به أحد الأمرين: إما القتل، أو الطرح فى أرض ، أو المشير بالقتل بعضهم والمشير بالطرح البعض الآخر ، أو كان المتكلم بذلك واحدًا منهم فوافقه الباقون ، فكانوا كالقائل فى نسبة هذا المقول إليهم ، وانتصاب أرضًا على الظرفية، والتنكير للإبهام، أى أرضًا مجهولة، وجواب الأمر: ﴿**يخل لكم وجه أبيكم**﴾ أى يصف ويخلص فيقبل عليكم ويحبكم حبا كاملاً ﴿ **وتكونوا** ﴾ معطوف على ﴿ **يخل** ﴾ ويجوز أن يكون منصوبًا بإضمار أن ﴿ **من بعده** ﴾ أى من بعد يوسف، والمراد: بعد الفراغ من قتله أو طرحه. وقيل: من بعد الذنب الذى اقترفوه فى يوسف ﴿ **قومًا صالحين** ﴾ فى أمور دينكم، وطاعة أبيكم ، أو صالحين فى أمور دنياكم ، لذهاب ما كان يشغلكم عن ذلك ، وهو الحسد ليوسف، وتكدر خواطركم بتأثيره عليكم، هو وأخوه، أو المراد بالصالحين: التائبون من الذنب.

﴿ **قال قائل منهم** ﴾ أى من الإخوة ، قيل : هو يهوذا . وقيل : روبيل . وقيل : شمعون. ﴿ **لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابت الجب** ﴾ قيل : ووجه الإظهار فى ﴿ **لا تقتلوا يوسف** ﴾ استجلاب شفقتهم عليه . قرأ أهل مكة وأهل البصرة وأهل الكوفة وأهل الشام : ﴿**فى غيابة الجب** ﴾ بالإفراد ، وقرأ أهل المدينة : « **فى غيابات** » بالجمع ، واختار أبو عبيد الإفراد ، وأنكر الجمع ؛ لأن الموضع الذى ألقوه فيه واحد ، قال النحاس : وهذا تضييق فى اللغة ، و« غيابات » على الجمع تجوز . والغيابة : كل شىء غيب عنك شيئا . وقيل للقبر : غيابة ، والمراد بها هنا :غور البئر الذى لا يقع البصر عليه ، أو طاقة فيه ، قال الشاعر :

ألا فالبثا شهرين أو نصف ثالث إلى ذا كما قد غيبتنى غيابيا

والجب : البئر التى لم تطو ، ويقال لها قبل الطى : ركية ، فإذا طويت قيل لها : بئر ، سميت جبا ؛ لأنها قطعت فى الأرض قطعًا ، وجمع الجب جيب ، وجياب ، وأجباب . وجمع بين الغيابة والجب مبالغة فى أن يلقوه فى مكان الجب شديد الظلمة ، حتى لا يدركه نظر الناظرين . قيل : وهذه البئر ببيت المقدس . وقيل : بالأردن . وجواب الأمر : ﴿**يلتقطه بعض السيارة** ﴾ ، قرأ مجاهد وأبو رجاء والحسن وقتادة : « تلتقطه » بالمثناة الفوقية ووجهه أن

بعض السيارة سيارة ، وحكى عن سيبويه سقطت بعض أصابعه ، ومنه قول الشاعر :

أرى مر السنين أخذن منى كما أخذ السرار من الهلال [١]

وقرأ الباقون : ﴿ **يلتقطه** ﴾ بالتحتية . والسيارة : الجمع الذى يسيرون فى الطريق ، والالتقاط : هو أخذ شىء مشرف على الضياع ، وكأنهم أرادوا أن بعض السيارة إذا التقطه حمله إلى مكان بعيد ، بحيث يخفى عن أبيه ، ومن يعرفه ، ولا يحتاجون إلى الحركة بأنفسهم إلى المكان البعيد ، فربما أن والدهم لا يأذن لهم بذلك ومعنى ﴿ **إنْ كنتم فاعلين** ﴾ : إن كنتم عاملين بما أشرت به عليكم فى أمره ، كأنه لم يجزم بالأمر بل وكله[٢] إلى ما يجمعون عليه ، كما يفعله المشير مع من استشاره ، وفى هذا دليل على أن إخوة يوسف ما كانوا أنبياء فإن الأنبياء لا يجوز عليهم التواطؤ على القتل لمسلم ظلما وبغيًا . وقيل : كانوا أنبياء ، وكان ذلك منهم زلة قدم ، وأوقعهم فيها التهاب نار الحسد فى صدورهم واضطرام جمرات الغيظ فى قلوبهم . ورد بأن الأنبياء معصومون عن مثل هذه المعصية الكبيرة ، المتبالغة فى الكبر ، مع ما فى ذلك من قطع الرحم ، وعقوق الوالد ، وافتراء الكذب . وقيل : إنهم لم يكونوا فى ذلك الوقت أنبياء بل صاروا أنبياء من بعد .

وقد أخرج ابن أبى حاتم عن الحسن فى قوله : ﴿ **آيات للسائلين** ﴾ قال : عبرة . وأخرج أيضا عن قتادة فى الآية يقول: من سأل عن ذلك فهو هكذا ما قص الله عليكم وأنبأكم به ، وأخرج أبو الشيخ عن الضحاك نحوه. وأخرج ابن جرير عن ابن إسحاق قال: إنما قص الله على محمد ﷺ خبر يوسف وبغى إخوته عليه وحسدهم إياه، حين ذكر رؤياه لما رأى رسول الله ﷺ من بغى قومه عليه ، وحسدهم إياه حين أكرمه الله بنبوته ليأتسى به . وأخرج ابن أبى حاتم وأبوالشيخ عن قتادة فى قوله : ﴿ **إذ قالوا ليوسف وأخوه** ﴾ يعنى :بنيامين هو أخوه لأبيه وأمه ، وفى قوله : ﴿ **ونحن عصبة** ﴾ قال : العصبة ما بين العشرة إلى الأربعين . وأخرج ابن أبى حاتم ، وابن جرير وأبو الشيخ ، عن ابن زيد قال : العصبة: الجماعة ﴿ **إن أبانا لفى ضلال مبين** ﴾ قال : لفى خطأ من رأيه .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ فى قوله: ﴿ **قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف** ﴾ قال : قاله كبيرهم الذى تخلف ، قال : والجب بئر بالشام ﴿ **يلتقطه بعض السيارة** ﴾ قال : التقطه ناس من الأعراب . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه فى قوله : ﴿ **وألقوه فى غيابة الجب** ﴾ يعنى : الركية . وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال : الجب : البئر . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ قال : هى بئر ببيت المقدس ، يقول : فى

(١) البيت للأعشى ، وهو يخاطب يزيد بن مسهر الشيبانى .

(٢) فى المطبوعة : « وبل وكله » ، والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .

بعض نواحيها . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن زيد قال : الجب بحذاء طبرية [١] ، بينه وبينها أميال .

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ (١٤) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١٨) ﴾ .

لما أجمع رأيهم على أن يلقوه فى غيابات الجب ، جاؤوا إلى أبيهم وخاطبوه بلفظ الأبوة استعطافًا له ، وتحريكًا للحنو الذى جبلت عليه طبائع الآباء للأبناء ، وتوسلاً بذلك إلى تمام ما يريدونه من الكيد الذى دبروه واستفهموه استفهام المنكر لأمر ينبغى أن يكون الواقع على خلافه ، فـ ﴿ **قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف** ﴾ أى أىُّ شىء لك لا تجعلنا أمناء عليه ، وكأنهم قد كانوا سألوه قبل ذلك أن يخرج معهم يوسف فأبى . وقرأ يزيد بن القعقاع ، وعمرو بن عبيد والزهرى : « **لا تأمنا** » بالإدغام بغير إشمام ، وقرأ طلحة بن مصرف : « **لا تأمننا** » بنونين ظاهرتين على الأصل . وقرأ يحيى بن وثاب وأبو رزين والأعمش : « **لا تيمنا** » وهو لغة تميم كما تقدم . وقرأ سائر القراء بالإدغام والإشمام ، ليدل على حال الحرف قبل إدغامه ﴿ **وإنا له لناصحون** ﴾ فى حفظه وحيطته حتى نرده إليك ﴿ **أرسله معنا غدا** ﴾ أى إلى الصحراء التى أرادوا الخروج إليها ، و ﴿ **غدا** ﴾ ظرف ، والأصل عند سيبويه غدوة ، قال النضر بن شميل : ما بين الفجر وطلوع الشمس يقال له : غدوة ، وكذا يقال له : بكرة ﴿ **نرتع ونلعب** ﴾ هذا جواب الأمر ، قرأ أهل البصرة وأهل مكة ، وأهل الشام بالنون وإسكان العين ، كما رواه البعض عنهم ، وقرؤوا أيضًا بالاختلاس ، وقرأ الباقون بالنون وكسر العين ، والقراءة الأولى مأخوذة من قول العرب : رتع الإنسان أو البعير : إذا أكل كيف شاء ، أو المعنى : نتسع فى الخصب ، وكل مخصب راتع ، قال الشاعر :

فار مى فزارة لا هناك المرتع

---

(١) هى بلدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية ، وهى فى طرف جبل ، وجبل الطور مطل عليها . وهى من أعمال الأردن ، كان أول من بناها ملك من ملوك الروم يقال له : طبارا وسميت باسمه ، وفتحت طبرية على يد شرحبيل بن حَسَنة فى سنة ١٣ هـ صلحًا . معجم البلدان ٤ / ١٧ .

ومنه قول الشاعر :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هى إقبال وإدبار [١]

والقراءة الثانية مأخوذة من رعى الغنم ، وقرأ مجاهد وقتادة : « يرتع ويلعب » بالتحتية فيهما، ورفع يلعب على الاستئناف والضمير ليوسف ، وقال القتيبى : معنى ﴿ **نرتع** ﴾ نتحارس ونتحافظ ، ويرعى بعضنا بعضا، من قولهم: رعاك الله ، أى حفظك و ﴿ **نلعب** ﴾ من اللعب. قيل لأبى عمرو بن العلاء : كيف قالوا ونلعب وهم أنبياء، فقال: لم يكونوا يومئذ أنبياء. وقيل: المراد به: اللعب المباح من الأنبياء، وهو مجرد الانبساط. وقيل : هو اللعب الذى يتعلمون به الحرب، ويتقوون به عليه كما فى قولهم: ﴿ **إنا ذهبنا نستبق** ﴾ لا اللعب المحظور الذى هو ضد الحق ، ولذلك لم ينكر يعقوب عليهم لما قالوا ونلعب ، ومنه قوله ﷺ لجابر : « فهلاً بكرا تلاعبها وتلاعبك» [٢] ، فأجابهم يعقوب بقوله : ﴿**إنى ليحزننى أن تذهبوا به** ﴾ أى ذهابكم به. واللام فى ﴿ **ليحزننى** ﴾ لام الابتداء للتأكيد ، ولتخصيص المضارع بالحال، أخبرهم أنه يحزن لغيبة يوسف عنه لفرط محبته له وخوفه عليه ﴿ **وأخاف أن يأكله الذئب** ﴾ أى ومع ذلك أخاف أن يأكله الذئب، قال يعقوب: هذا تخوفًا عليه منهم، فكنى عن ذلك بالذئب. وقيل : إنه خاف أن يأكله الذئب حقيقة ؛ لأن ذلك المكان كان كثير الذئاب ولو خاف منهم عليه أن يقتلوه لأرسل معهم من يحفظه. قال ثعلب: والذئب مأخوذ من تذأبت الريح إذا هاجت من كل وجه ، قال : والذئب مهموز ؛ لأنه يجىء من كل وجه ، وقد قرأ ابن كثير ، ونافع فى رواية عنه بالهمز على الأصل ، وكذلك أبو عمرو ، فى رواية عنه ، وابن عامر وعاصم وحمزة، وقرأ الباقون بالتخفيف ﴿ **وأنتم عنه غافلون** ﴾ لاشتغالكم بالرتع واللعب ، أو لكونهم غير مهتمين بحفظه .

﴿ **قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة** ﴾ : اللام هى الموطئة للقسم ، والمعنى : والله لئن أكله الذئب ، والحال : إن نحن عصبة ، أى جماعة كثيرة عشرة ﴿ **إنا إذًا لخاسرون** ﴾ أى إننا فى ذلك الوقت ، وهو أكل الذئب له ﴿ **لخاسرون**﴾ هالكون ضعفا وعجزا ، أو مستحقون للهلاك لعدم الاعتداد بنا ، وانتفاء القدرة على أيسر شىء وأقله ، أو مستحقون لأن يدعى علينا بالخسارة والدمار . وقيل : ﴿ **لخاسرون** ﴾ لجاهلون حقه ، وهذه الجملة جواب القسم المقدر فى الجملة التى قبلها .

﴿ **فلما ذهبوا به** ﴾ من عند يعقوب ﴿ **وأجمعوا** ﴾ أمرهم ﴿ **أن يجعلوه فى غيابة الجب** ﴾

---

(١) البيت للخنساء من قصيدة ترثى بها أخاها صخرًا .

(٢) البخارى فى الدعوات (٦٣٨٧) وفى البيوع (٢٠٩٧) وفى الوكالة (٢٣٠٩) وفى الجهاد (٢٩٦٧) ومسلم فى الرضاع (٧١٥ / ٤٥ــ ٥٨) وأبو داود فى النكاح (٢٠٤٨) والترمذى فى النكاح (١١٠٠) وقال : « حسن صحيح » والنسائى فى البيوع ٧ / ٣٩٧ ، ٣٩٨ وابن ماجة فى النكاح (١٨٦٠) والدارمى فى النكاح ٢ / ١٤٦ .

قد تقدم تفسير الغيابة والجب قريبا ، وجواب « لما » محذوف لظهوره ودلالة المقام عليه ، والتقدير : فعلوا به ما فعلوا ، وقيل : جوابه : ﴿ **قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق** ﴾ . وقيل : الجواب المقدر جعلوه فيها . وقيل : الجواب : ﴿ **أوحينا** ﴾، والواو مقحمة ، ومثله قوله تعالى: ﴿ **فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه** ﴾ [الصافات : ١٠٣ ، ١٠٤] أى ناديناه ﴿ **وأوحينا إليه**﴾ أى إلى يوسف تيسيرا له وتأنيسًا لوحشته مع كونه صغيرًا اجتمع على إنزال الضرر به عشرة رجال من إخوته ، بقلوب غليظة فقد نزعت عنها الرحمة ، وسلبت منها الرأفة ، فإن الطبع البشرى ــ دع عنك الدين ــ يتجاوز عن ذنب الصغير ، ويغتفره لضعفه عن الدفع ، وعجزه عن أيسر شىء يراد منه ، فكيف بصغير لا ذنب له ؟ بل كيف بصغير هو أخ وله ولهم أب مثل يعقوب ؟ فلقد أبعد من قال : إنهم كانوا أنبياء فى ذلك الوقت ، فما هكذا عمل الأنبياء ولا فعل الصالحين ، وفى هذا دليل على أنه يجوز أن يوحى الله إلى من كان صغيرًا ويعطيه النبوة حينئذ ، كما وقع فى عيسى ، ويحيى بن زكريا ، وقد قيل : إنه كان فى ذلك الوقت قد بلغ مبالغ الرجال ، وهو بعيد جدًا ، فإن من كان قد بلغ مبالغ الرجال لا يخاف عليه أن يأكله الذئب ﴿ **لتنبئنهم بأمرهم هذا** ﴾ أى لتخبرن إخوتك بأمرهم هذا الذى فعلوه معك بعد خلوصك مما أرادوه بك من الكيد، وأنزلوه عليك من الضرر ، وجملة : ﴿ **وهم لا يشعرون** ﴾ فى محل نصب على الحال ، أى لا يشعرون بأنك أخوهم يوسف لاعتقادهم هلاكك بإلقائهم لك فى غيابة الجب ، ولبعد عهدهم بك ، ولكونك قد صرت عند ذلك فى حال غير ما كنت عليه وخلاف ما عهدوه منك ، وسيأتى ما قاله لهم عند دخولهم عليه بعد أن صار إليه ملك مصر .

قوله : ﴿ **وجاؤوا أباهم عشاء يبكون** ﴾ ﴿ **عشاء** ﴾ منتصب على الظرفية وهو آخر النهار . وقيل : فى الليل ، و ﴿ **يبكون** ﴾ فى محل نصب على الحال ، أى باكين أو متباكين لأنهم لم يبكوا حقيقة ، بل فعلوا فعل من يبكى ترويجًا لكذبهم وتنفيقا لمكرهم وغدرهم . فلما وصلوا إلى أبيهم ﴿ **قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق** ﴾ أى نتسابق فى العدو أو فى الرمى . وقيل : ننتضل ، ويؤيده قراءة ابن مسعود « ننتضل » ، قال الزجاج : وهو نوع من المسابقة ، وقال الأزهرى : النضال فى السهام ، والرهان فى الخيل ، والمسابقة تجمعهما . قال القشيرى : نستبق أى فى الرمى ، أو على الفرس أو على الأقدام ، والغرض من المسابقة التدرب بذلك فى القتال، ﴿ **وتركنا يوسف عند متاعنا** ﴾ أى عند ثيابنا ليحرسها ﴿ **فأكله الذئب** ﴾ الفاء للتعقيب ، أى أكله عقب ذلك ، وقد اعتذروا عليه بما خافه سابقا عليه ، ورب كلمة تقول لصاحبها دعنى. ﴿**وما أنت بمؤمن لنا** ﴾ بمصدق لنا فى هذا العذر الذى أبدينا ، والكلمة التى قلناها ﴿ **ولو كنا** ﴾ عندك أو فى الواقع ﴿ **صادقين** ﴾ لما قد علق بقلبك من التهمة لنا فى ذلك مع شدة محبتك له . قال الزجاج : والمعنى : ولو كنا عندك من أهل الثقة والصدق ما صدقتنا فى هذه القضية ، لشدة محبتك ليوسف ، وكذا ذكره ابن جرير وغيره .

﴿ **وجاؤوا على قميصه بدم كذب** ﴾ ﴿ **على قميصه** ﴾ فى محل نصب على الظرفية ، أى جاؤوا فوق قميصه بدم . ووصف الدم بأنه كذب مبالغة كما هو معروف فى وصف اسم العين باسم المعنى . وقيل : المعنى : بدم ذى كذب أو بدم مكذوب فيه ، وقرأ الحسن وعائشة : « بدم كدب » بالدال المهملة، أى بدم طرى، يقال : للدم الطرى كدب . وقال الشعبى: إنه المتغير ، والكذب أيضا : البياض الذى يخرج فى أظفار الأحداث ، فيجوز أن يكون شبه الدم فى القميص بالبياض الذى يخرج فى الظفر من جهة اللونين،وقد استدل يعقوب على كذبهم بصحة القميص، وقال لهم : متى كان هذا الذئب حكيما يأكل يوسف ولا يخرق القميص ؟

ثم ذكر الله سبحانه ما أجاب به يعقوب عليهم فقال : ﴿ **قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا**﴾ أى زينت وسهلت . قال النيسابورى : التسويل تقرير فى معنى النفس مع الطمع فى تمامه ، وهو تفعيل من السول وهو الأسنية . قال الأزهرى : وأصله مهموز غير أن العرب استثقلوا فيه الهمزة ﴿ **فصبر جميل** ﴾ قال الزجاج : أى فشأنى أو الذى أعتقده صبر جميل . وقال قطرب : أى فصبرى صبر جميل . وقيل : فصبر جميل أولى بى . وقيل : والصبر الجميل هو الذى لا شكوى معه ، قال الزجاج : قرأ عيسى بن عمر فيما زعم سهل بن يوسف « فصبرًا جميلاً » قال: وكذا فى مصحف أنس ، قال المبرد :﴿ **فصبر جميل** ﴾ بالرفع أولى من النصب ؛ لأن المعنى : قال : رب عندى صبر جميل ، وإنما النصب على المصدر، أى فلأصبرن صبرًا جميلا . قال الشاعر :

شكا إلىّ جملى طول السرى صبرا جميلا فكلانا مبتلى

﴿ **والله المستعان** ﴾ أى المطلوب منه العون ﴿ **على ما تصفون** ﴾ أى على إظهار حال ما تصفون ، أو على احتمال ما تصفون ، وهذا منه عليه السلام إنشاء لا إخبار .

وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **أرسله معنا غدا نرتع ونلعب** ﴾ قال : نسعى وننشط ونلهو . وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه ، والسلفى فى الطيوريات عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تلقنوا الناس فيكذبوا ؛ فإن بنى يعقوب لم يعلموا أن الذئب يأكل الناس، فلما لقنهم أبوهم كذبوا ، فقالوا : أكله الذئب »[1]. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد فى قوله : ﴿ **وأوحينا إليه** ﴾ قال : أوحى إلى يوسف وهو فى الجب لتنبئن إخوتك بما صنعوا وهم لا يشعرون بذلك الوحى . وأخرج هؤلاء عن قتادة قال: أوحى الله إليه وحيًا وهو فى الجب أن سينبئهم بما صنعوا ﴿**وهم**﴾ أى إخوته ﴿ **لا يشعرون** ﴾ بذلك الوحى ، فهون ذلك الوحى عليه ما صنع به . وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وهم لا يشعرون** ﴾ قال : لم يعلموا بوحى الله إليه. وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم ، عنه قال : لما دخل إخوة يوسف على يوسف

(١) الدر المنثور ٤ / ٩ .

فعرفهم وهم له منكرون جيء بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن ، فقال : إنه ليخبرنى هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له: يوسف يدنيه دونكم ، وأنكم انطلقتم به فألقيتموه فى غيابة الجب ، فأتيتم أباكم فقلتم : إن الذئب أكله ، وجئتم على قميصه بدم كذب ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الجام ليخبره بخبركم [١] ، فقال ابن عباس : فلا نرى هذه الآية نزلت إلا فى ذلك ﴿ **لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون** ﴾ [٢] .

وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى بكر بن عياش قال : كان يوسف فى الجب ثلاثة أيام. وأخرج أبو الشيخ عن الضحاك ﴿**وما أنت بمؤمن لنا**﴾ قال: بمصدق لنا. وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس ﴿**وجاؤوا على قميصه بدم كذب** ﴾ قال : كان دم سخلة . وأخرج ابن جرير عن مجاهد مثله . وأخرج الفريابى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس ﴿ **وجاؤوا على قميصه بدم كذب** ﴾ قال : لما أتى يعقوب بقميص يوسف فلم ير فيه خرقًا ، قال : كذبتم لو كان كما تقولون أكله الذئب لخرق القميص . وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة فى قوله : ﴿ **بل سولت لكم أنفسكم أمرًا** ﴾ يقول : بل زينت لكم أنفسكم أمرًا ﴿ **فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون** ﴾ أى على ما تكذبون. وأخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب الصبر ، وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن حبان بن أبى حبلة قال : سئل رسول الله ﷺ عن قوله : ﴿ **فصبر جميل** ﴾ قال : « لا شكوى فيه ، من بث لم يصبر » ، وهو من طريق هشيم عن عبد الرحمن عن حبان بن أبى حبلة وهو مرسل [٣] . وأخرج عبد الرزاق والفريابى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد فى قوله : ﴿ **فصبر جميل** ﴾ قال : ليس فيه جزع .

﴿ **وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)** ﴾ .

هذا شروع فى حكاية خلاص يوسف ، وما كان بعد ذلك من خبره ، وقد تقدم تفسير السيارة ، والمراد بها هنا : رفقة مارة تسير من الشام إلى مصر ، فأخطؤوا الطريق وهاموا حتى

---

(١) فى المخطوطة : « ويخبركم » ، والصحيح ما أثبتناه ليستقيم المعنى .

(٢) ابن جرير ١٢ / ٩٦ .

(٣) ابن جرير ١٢ / ٩٩ وقال ابن كثير ٤ / ١٥ : « هذا مرسل » .

نزلوا قريبًا من الجب، وكان فى قفرة بعيدة من العمران ، والوارد : الذى يرد الماء ليستقى للقوم، وكان اسمه فيما ذكر المفسرون: مالك بن ذعر من العرب العاربة ﴿ **فأدلى دلوه** ﴾ أى أرسله ، يقال أدلى دلوه : إذا أرسلها ليملأها ، ودلاها إذا أخرجها قاله الأصمعى وغيره ، فتعلق يوسف بالحبل ، فلما خرج الدلو من البئر أبصره الوارد فقال : « **يا بشراى** » هكذا قرأ أهل المدينة وأهل مكة ، وأهل البصرة وأهل الشام بإضافة البشرى إلى الضمير ، وقرأ أهل الكوفة ﴿**يا بشرى**﴾ غير مضاف ، ومعنى مناداته للبشرى : أنه أراد حضورها فى ذلك الوقت ، فكأنه قال : هذا وقت مجيئك وأوان حضورك. وقيل : إنه نادى رجلاً اسمه بشرى والأول أولى ، قال النحاس : والمعنى من نداء البشرى: للتبشير لمن حضر ، وهو أوكد من قولك : بشرته ، كما تقول : يا عجبا ، أى ياعجب هذا من أيامك فاحضر ، قال : وهذا مذهب سيبويه ﴿**وأسروه** ﴾ أى أسر الوارد وأصحابه الذين كانوا معه يوسف فلم يظهروه لهم . وقيل : إنهم لم يخفوه بل أخفوا وجدانهم له فى الجب ، وزعموا أنه دفعه إليهم أهل الماء ليبيعوه لهم بمصر . وقيل : ضمير الفاعل فى ﴿ **أسروه** ﴾ لإخوة يوسف ، وضمير المفعول ليوسف ، وذلك أنه كان يأتيه أخوه يهوذا كل يوم بطعام، فأتاه يوم خروجه من البئر فأخبر إخوته ، فأتوا الرفقة وقالوا : هذا غلام أبق منا فاشتروه منهم ، وسكت يوسف مخافة أن يأخذوه فيقتلوه ، والأول أولى . وانتصاب ﴿ **بضاعة** ﴾ على الحال ، أى أخفوه حال كونه بضاعة ، أى متاعًا للتجارة ، والبضاعة ما يبضع من المال ، أى يقطع منه ؛ لأنها قطعة من المال الذى يتجر به ، قيل : قاله لهم الوارد وأصحابه أنه بضاعة استبضعناها من الشام، مخافة أن يشاركوهم فيه، وفى قوله: ﴿ **والله عليم بما يعملون** ﴾ وعيد شديد لمن كان فعله سببًا لما وقع فيه يوسف من المحن ، وما صار فيه من الابتذال يجرى البيع والشراء فيه ، وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، كما قال نبينا ﷺ فى وصفه بذلك (١) .

قوله: ﴿ **وشروه بثمن بخس دراهم معدودة** ﴾ يقال: شراه بمعنى : اشتراه ، وشراه بمعنى: باعه، قال الشاعر (٢) :

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِى مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كنتُ هَامَه

أى بعته .

وقال آخر :

فلما شراها فاضت العين عبرة (٣)

---

(١) أحمد ٢ / ٣٣٢ ، ٤١٦ عن أبى هريرة ، والبخارى فى الأنبياء (٣٣٨٢ ، ٣٣٩٠) والتفسير (٤٦٨٨) عن عبد الله بن عمر .

(٢) الشاعر هو : يزيد بن مفرغ الحميرى .

(٣) البيت للشماخ قاله فى رجل باع قوسه من رجل .

أى اشتراها .

والمراد هنا : وباعوه ، أى باعه الوارد وأصحابه ﴿ **بثمن بخس** ﴾ أى ناقص ، أو زائف . وقيل : يعود إلى إخوة يوسف على القول السابق . وقيل : عائد إلى الرفقة ، والمعنى : اشتروه . وقيل : بخس : ظلم . وقيل : حرام . قيل : باعوه بعشرين درهمًا . وقيل : بأربعين . و ﴿ **دراهم** ﴾ بدل من ثمن أى دنانير ، و ﴿ **معدودة** ﴾ وصف لدراهم ، وفيه إشارة إلى أنها قليلة تعد ولا توزن ؛ لأنهم كانوا لا يزنون ما دون أوقية وهى أربعون درهمًا ﴿ **وكانوا فيه من الزاهدين** ﴾ يقال : زهدت وزهدت بفتح الهاء وكسرها ، قال سيبويه والكسائى : قال أهل اللغة : يقال : زهد فيه ، أى رغب عنه ، وزهد عنه أى رغب فيه ، والمعنى : أنهم كانوا فيه من الراغبين عنه الذين لا يبالون به ، فلذلك باعوه بذلك الثمن البخس ؛ وذلك لأنهم التقطوه ، والملتقط للشىء متهاون به ، والضمير من ﴿ **كانوا** ﴾ يرجع إلى ما قبله على حسب اختلاف الأقوال فيه .

﴿ **وقال الذى اشتراه من مصر** ﴾ هو العزيز الذى كان على خزائن مصر ، وكان وزيرًا لملك مصر ، وهو الريان بن الوليد من العمالقة . وقيل : إن الملك هو فرعون موسى . قيل : اشتراه بعشرين دينارًا . وقيل : تزايدوا فى ثمنه فبلغ أضعاف وزنه مسكًا وعنبرًا وحريرًا وورقًا وذهبًا ولآلئ وجواهر ، فلما اشتراه العزيز قال ﴿ **لامرأته** ﴾ واللام متعلقة بـ﴿**اشتراه**﴾ ، ﴿**أكرمى مثواه**﴾ أى منزله الذى يثوى فيه بالطعام الطيب ، واللباس الحسن ، يقال : ثوى بالمكان ، أى أقام به . ﴿ **عسى أن ينفعنا** ﴾ أى يكفينا بعض المهمات مما نحتاج إلى مثله فيه ﴿ **أو نتخذه ولدا** ﴾ أى نتبناه فنجعله ولدًا لنا . قيل : كان العزيز حصورًا لا يولد له . وقيل : كان لا يأتى النساء ، وقد كان تفرس فيه أنه ينوب عنه فيما إليه من أمر المملكة .

قوله: ﴿ **وكذلك مكنا ليوسف** ﴾ : الكاف فى محل نصب على أنه نعت مصدر محذوف، والإشارة إلى ما تقدم من إنجائه من إخوته وإخراجه من الجب ، وعطف قلب العزيز عليه ، أى مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف حتى صار متمكنا من الأمر والنهى ، يقال : مكنه فيه ، أى أثبته فيه ، ومكن له فيه ، أى جعل له فيه مكانًا ، ولتقارب المعنيين يستعمل كل واحد منهما مكان الآخر .

قوله : ﴿ **ولنعلمه من تأويل الأحاديث** ﴾ هو علة لمعلل محذوف كأنه قيل : فعلنا ذلك التمكين لنعلمه من تأويل الأحاديث ، أو كان ذلك الإنجاء لهذه العلة ، أو معطوف على مقدر ، وهو أن يقال : ملكنا ليوسف ليترتب على ذلك ما يترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ﴿**ولنعلمه من تأويل الأحاديث** ﴾ ومعنى تأويل الأحاديث : تأويل الرؤيا ، فإنها كانت من الأسباب التى بلغ بها ما بلغ من التمكن . وقيل : معنى تأويل الأحاديث : فهم أسرار الكتب الإلهية ، وسنن من قبله من الأنبياء ولا مانع من حمل ذلك على الجميع .

﴿ **والله غالب على أمره** ﴾ أى على أمر نفسه لا يمتنع منه شىء ، ولا يغالبه عليه غيره من مخلوقاته ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون** ﴾ [يس : ٨٢] ومن جملة ما يدخل تحت هذا العام كما يفيد ذلك إضافة اسم الجنس إلى الضمير، ما يتعلق بيوسف عليه السلام من الأمور التى أرادها الله سبحانه فى شأنه . وقيل : معنى ﴿ **والله غالب على أمره**﴾ : أنه كان من أمر يعقوب أن لا يقص رؤيا يوسف على إخوته ، فغلب أمر الله سبحانه حتى قصت عليهم حتى وقع منهم ما وقع وهذا بعيد جدًا . ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ أى لا يطلعون على غيب الله ، وما فى طيه من الأسرار العظيمة والحكم النافعة . وقيل : المراد بالأكثر : الجميع ؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله . وقيل : إن الله سبحانه قد يطلع بعض عبيده على بعض غيبه ، كما فى قوله: ﴿ **فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول** ﴾ [الجن : ٢٦، ٢٧]. وقيل : المعنى : ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله غالب على أمره ، وهم المشركون ومن لا يؤمن بالقدر .

قوله : ﴿ **ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلمًا** ﴾ الأشد : قال سيبويه: جمع واحده شدّة ، وقال الكسائى : واحده شدّ ، وقال أبو عبيد : إنه لا واحد له من لفظه عند العرب ويرده قول الشاعر (١) :

عَهْدِى به شَدَّ النَّهارِ كَأَنَّمَا ... خُضِبَ البَنانُ ورأسه بالعِظْلِم

والأشد : هو وقت استكمال القوة ، ثم يكون بعده النقصان ، قيل : هو ثلاث وثلاثون سنة . وقيل : بلوغ الحلم . وقيل : ثمانى عشرة سنة . وقيل غير ذلك مما قدمنا بيانه فى النساء والأنعام . والحكم : هو ما كان يقع منه من الأحكام فى سلطان ملك مصر . والعلم : هو العلم بالحكم الذى كان يحكمه . وقيل : العقل والفهم والنبوة وقيل : الحكم : هو النبوة ، والعلم : هو العلم بالدين . وقيل : علم الرؤيا ، ومن قال : إنه أوتى النبوة صبيًا ؛ قال : المراد بهذا الحكم والعلم الذى آتاه الله هو : الزيادة فيهما . ﴿ **وكذلك نجزى المحسنين** ﴾ أى ومثل ذلك الجزاء العجيب نجزى المحسنين ، فكل من أحسن فى عمله أحسن الله جزاءه ، وجعل عاقبة الخير من جملة ما يجزيه به ، وهذا عام يدخل تحته جزاء يوسف على صبره الحسن دخولًا أوليًا. قال الطبرى : هذا وإن كان مخرجه ظاهرًا على كل محسن فالمراد به: محمد ﷺ ، يقول الله تعالى : كما فعل هذا بيوسف ثم أعطيته ما أعطيته ، كذلك أنجيك من مشركى قومك الذين يقصدونك بالعداوة ، وأمكن لك فى الأرض ، والأولى ما ذكرناه من حمل العموم على ظاهره فيدخل تحته ما ذكره ابن جرير الطبرى .

---

(١) هو : عنترة العبسى ، أشهر فرسان العرب فى الجاهلية ، ومن شعراء الطبقة الأولى من أهل نجد ، أمه حبشية ، وكان من أحسن العرب شيمة ، ومن أعزهم نفسًا ، شهد حرب داحس والغبراء ، وعاش طويلا ومات مقتولا . الأعلام ٥ / ٩١.

وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر وأبو الشيخ عن الضحاك فى قوله : ﴿**وجاءت سيارة** ﴾ قال : جاءت سيارة فنزلت على الجب ﴿ **فأرسلوا واردهم** ﴾ فاستسقى الماء فاستخرج يوسف ، فاستبشروا بأنهم أصابوا غلامًا لا يعلمون علمه ولا منزلته من ربه ، فزهدوا فيه فباعوه ، وكان بيعه حرامًا ، وباعوه بدراهم معدودة . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن قتادة ﴿ **فأرسلوا واردهم** ﴾ يقول : فأرسلوا رسولهم ﴿ **فأدلى دلوه** ﴾ فنشب الغلام بالدلو ، فلما خرج ﴿ **قال يابشراى هذا غلام** ﴾ تباشروا به حين استخرجوه ، وهى بئر ببيت المقدس معلوم مكانه. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن السدى فى قوله : ﴿ **يا بشراى** ﴾ قال : كان اسم صاحبه بشرى كما تقول : يا زيد . وهذا على ما فيه من البعد لا يتم إلا على قراءة من قرأ : ﴿ **يا بشرى** ﴾، بدون إضافة ، وأخرج أبو الشيخ عن الشعبى نحوه .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وأسروه بضاعة** ﴾ يعنى : إخوة يوسف أسروا شأنه ، وكتموا أن يكون أخاهم ، وكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته ، واختار البيع فباعه إخوته بثمن بخس . وأخرج ابن جرير ، وأبو الشيخ عن مجاهد قال : أسره التجار بعضهم من بعض. وأخرج ابن أبى شيبة، وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عنه: ﴿ **وأسروه بضاعة** ﴾ قال : صاحب الدلو ومن معه ، قالوا لأصحابهم : إنا استبضعناه خيفة أن يشركوهم فيه إن علموا به ، واتبعهم إخوته يقولون للمدلى وأصحابه : استوثقوا منه لا يأبق حتى وقفوا بمصر ، فقال : من يبتاعنى ويبشر ، فابتاعه الملك والملك مسلم .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن مجاهد فى قوله : ﴿ **وشروه** ﴾ قال : إخوة يوسف باعوه حين أخرجه المدلى دلوه . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن عباس قال : بيع بينهم بثمن بخس قال : حرام لم يحل لهم بيعه ولا أكل ثمنه . وأخرج ابن جرير عن قتادة : ﴿**وشروه بثمن بخس** ﴾ قال :هم السيارة. وأخرج أبو الشيخ عن على بن أبى طالب أنه قضى فى اللقيط أنه حر ، وقرأ : ﴿ **وشروه بثمن بخس** ﴾ . وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال : البخس القليل . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن الشعبى مثله . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر والطبرانى ، والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال : إنما اشترى يوسف بعشرين درهمًا ، وكان أهله حين أرسل إليهم بمصر ثلاثمائة وتسعين إنسانًا ، رجالهم أنبياء، ونساؤهم صديقات والله ما خرجوا مع موسى حتى بلغوا ستمائة ألف وسبعين ألفًا ، وقد روى فى مقدار ثمن يوسف غير هذا المقدار مما لا حاجة إلى التطويل بذكره .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وقال الذى اشتراه من مصر**﴾ قال: كان اسمه قطفير . وأخرج أبو الشيخ عن شعيب الجبائى أن اسم امرأة العزيز : زليخا. وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن محمد بن إسحاق قال : الذى اشتراه أطيفير بن روحب، وكان اسم امرأته راعيل بنت رعاييل . وأخرج ابن جرير وابن إسحاق وأبو الشيخ عن

ابن عباس قال : اسم الذى باعه من العزيز مالك بن زعر . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه فى قوله: ﴿ **أكرمى مثواه** ﴾ قال: منزلته. وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة مثله . وأخرج ابن الشيخ وأبو الشيخ عن قتادة مثله . وأخرج سعيد بن منصور وابن سعد وابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وأبو الشيخ والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال : أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرس فى يوسف ، فقال لامرأته: ﴿ **أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا** ﴾ ، والمرأة التى أتت موسى فقالت لأبيها : ﴿ يا أبت استأجره ﴾ [القصص: ٢٦] وأبو بكر حين استخلف عمر.

وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد فى قوله: ﴿ **ولنعلمه من تأويل الأحاديث** ﴾ قال : عبارة الرؤيا . وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن أبى حاتم وابن الأنبارى فى كتاب الأضداد ، والطبرانى فى الأوسط وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ولما بلغ أشده** ﴾ (١) قال : ثلاثًا وثلاثين سنة . وأخرج ابن أبى حاتم عن الحسن قال : أربعين سنة . وأخرج عن عكرمة قال : خمسًا وعشرين سنة . وأخرج عن السدى قال : ثلاثين سنة وأخرج عن سعيد بن جبير قال : ثمانى عشرة سنة . وأخرج عن ربيعة قال : الحلم . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم عن الشعبى نحوه . وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال :عشرين سنة . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن مجاهد : ﴿ **آتيناه حكما وعلمًا** ﴾ قال : هو الفقه والعلم والعقل قبل النبوة . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس : ﴿**وكذلك نجزى المحسنين** ﴾ قال : المهتدين .

﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧)**

(١) قال الأزهرى : « الأشد فى كتاب الله تعالى فى ثلاثة معان يقرب اختلافها ، قوله تعالى فى يوسف : ﴿**ولما بلغ أشده** ﴾ [يوسف: ٢٢] الإدراك والبلوغ ، وحينئذ راودته امرأة العزيز . وقوله تعالى فى الأنعام : ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده** ﴾ [الأنعام: ١٥٢] قال : يحفظ له ماله ويدفع إليه عندما يؤنس منه الرشد مع أن يكون بالغًا ، وفى قصة موسى : ﴿ **ولما بلغ أشده واستوى** ﴾ [القصص: ١٤] فإنه قرن بلوغ الأشد بالاستواء ، وهو أن يجتمع أمره وقوته ويكتهل وينتهى شبابه ، وأما قوله تعالى فى سورة الأحقاف : ﴿**حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة** ﴾ [الأحقاف :١٥] فهو أقصى نهاية بلوغ الأشد، وعند تمامها بُعث محمد ﷺ نبيًا وقد اجتمعت حنكته وتمام عقله . اللسان ٣ / ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) ﴾ .

المراودة :الإرادة والطلب برفق ولين . وقيل : هى مأخوذة من الرَّود ، أى الرفق والتأنى ، يقال : أرودنى أمهلنى . وقيل: المراودة مأخوذة من راد يرود : إذا جاء وذهب ، كأن المعنى : أنها فعلت فى مراودتها له فعل المخادع ، ومنه الرائد لمن يطلب الماء والكلأ ، وقد يخص بمحاولة الوقاع فيقال : راود فلان جاريته عن نفسها ، وراودته هى عن نفسه ، إذا حاول كل واحد منهما الوطء والجماع، وهى مفاعلة وأصلها أن تكون من الجانبين . فجعل السبب هنا فى أحد الجانبين قائمًا مقام المسبب ، فكأن يوسف عليه السلام لما كان ما أعطيه من كمال الخلق والزيادة فى الحسن، سببًا لمراودة امرأة العزيز له مراود ، وإنما قال: ﴿ **التى هو فى بيتها** ﴾ ولم يقل : امرأة العزيز وزليخا قصدًا إلى زيادة التقرير مع استهجان التصريح باسم المرأة، والمحافظة على الستر عليها . ﴿ **وغلقت الأبواب** ﴾ قيل : فى هذه الصيغة ما يدل على التكثير، فيقال : غلق الأبواب ، ولا يقال : غلق الباب ، بل يقال : أغلق الباب ، وقد يقال : أغلق الأبواب ، ومنه قول الفرزدق فى أبى عمرو بن العلاء :

مَا زلتُ أغلق أبْواباً وَأفْتُحهَا ... حَتَّى أتيتُ أبا عمرِو بن عمَّارِ

قيل : وكانت الأبواب سبعة .

قوله : ﴿ **هيت لك** ﴾ قرأ أبو عمرو وعاصم والكسائى وحمزة والأعمش بفتح الهاء وسكون الياء ، وفتح التاء . وبها قرأ ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة . قال ابن مسعود : لا تنطعوا فى القراءة ، فإنما هو مثل قول أحدكم :هلم وتعال ، وقرأ ابن أبى إسحاق النحوى بفتح الهاء وكسر التاء ، وقرأ عبد الرحمن السلمى ، وابن كثير: « هيت » بفتح الهاء وضم التاء ، ومنه قول طرفة :

كَيْسَ قَوْمى بَالأبْعَدين إذَا مَا ... قَالَ دَاعٍ من العَشِيرةِ هَيْتُ

وقرأ أبو جعفر ونافع بكسر الهاء وسكون الياء وفتح التاء ، وقرأ على وابن عباس فى رواية عنه وهشام بكسر الهاء وبعدها همزة ساكنة وضم التاء . وقرأ ابن عامر وأهل الشام بكسر الهاء وبالهمزة وفتح التاء ، ومعنى هيت على جميع القراءات معنى هلم وتعال ؛ لأنها من أسماء الأفعال ، إلا فى قراءة من قرأ بكسر الهاء بعدها همزة وتاء مضمومة ، فإنها بمعنى : تهيأت لك، وأنكر أبو عمرو هذه القراءة ، وقال أبو عبيدة : سئل أبو عمرو عن قراءة من قرأ بكسر الهاء والهمزة وضم التاء فقال : باطل جعلها بمعنى : تهيأت ، اذهب فاستعرض العرب حتى تنتهى إلى اليمن ، هل تعرف أحدًا يقول هكذا ؟ وأنكرها أيضا الكسائى ، وقال النحاس : هى جيدة عند البصريين ؛ لأنه يقال : هاء الرجل يهاء ويهىء هيئة، ورجح الزجاج القراءة الأولى .

وأنشد بيت طرفة المذكور هيتا بالفتح ، ومنه قول الشاعر فى على بن أبى طالب رضى الله عنه :

أبلغ أمير المؤمنين أخا العراق إذا أتيتا

أن العراق وأهله سلم إليك فهيت هيتا

وتكون اللام فى ﴿ **لك** ﴾ على القراءات الأولى التى هى فيها بمعنى اسم الفعل للبيان ، أى لك أقول هذا، كما فى هلم لك ، قال النحويون : هيت جاء بالحركات الثلاث ، فالفتح للخفة، والكسر لالتقاء الساكنين ، والضم تشبيها بحيث ، وإذا بين باللام نحو : ﴿ **هيت لك** ﴾ فهو صوت قائم مقام المصدر كأف له ، أى لك أقول هذا ، وإن لم يبين باللام فهو صوت قائم مقام مصدر الفعل فيكون اسم فعل ، إما خبر أى تهيأت ، وإما أمر أى أقبل ، وقال فى الصحاح : يقال : هوت به وهيت به إذا صاح به ودعاه . ومنه قول الشاعر :

يَحْدو بِها كلُّ فتى هَيَّاتِ

وقد روى عن ابن عباس والحسن أنها كلمة سريانية معناها أنها تدعوه إلى نفسها . قال أبو عبيد : كان الكسائى يقول : هى لغة لأهل حوران ، وقعت إلى أهل الحجاز معناها تعال ، قال أبوعبيدة : فسألت شيخًا عالمًا من حوران فذكر أنها لغتهم . ﴿ **قال معاذ الله** ﴾ أى أعوذ بالله معاذًا مما دعوتنى إليه، فهو مصدر منتصب بفعل محذوف ، مضاف إلى اسم الله سبحانه . وجملة : ﴿ **إنه ربى أحسن مثواى** ﴾ تعليل للامتناع الكائن منه ببعض الأسباب التى هى أقرب إلى فهم امرأة العزيز ، والضمير للشأن ، أى إن الشأن ربى ، يعنى: العزيز ، أى سيدى الذى ربانى ، وأحسن مثواى حيث أمرك بقوله: ﴿**أكرمى مثواه** ﴾ فكيف أخونه فى أهله وأجيبك إلى ما تريدين من ذلك ؟ وقال الزجاج : إن الضمير لله سبحانه ، أى إن الله ربى تولانى بلطفه ، فلا أركب ما حرمه ، وجملة : ﴿ **إنَّه لا يفلح الظالمون** ﴾ تعليل آخر للامتناع منه عن إجابتها والفلاح : الظفر . والمعنى : أنه لا يظفر الظالمون بمطالبهم ، ومن جملة الظالمين الواقعون فى مثل هذه المعصية التى تطلبها امرأة العزيز من يوسف .

قوله : ﴿ **ولقد همت به وهم بها** ﴾ يقال : هم بالأمر إذا قصده وعزم عليه ، والمعنى : أنه هم بمخالطتها كما همت بمخالطته ومال كل واحد منهما إلى الآخر بمقتضى الطبيعة البشرية والجبلة الخلقية ، ولم يكن من يوسف عليه السلام القصد إلى ذلك اختيارًا كما يفيده ما تقدم من استعاذته بالله ، وإن ذلك النوع من الظلم ، ولما كان الأنبياء معصومين عن الهم بالمعصية والقصد إليها ، شطح أهل العلم فى تفسير هذه الآية بما فيه نوع تكلف ، فمن ذلك ما قاله أبو حاتم قال : كنت أقرأ على أبى عبيدة غريب القرآن ، فلما أتيت على : ﴿ **ولقد همت به وهم بها** ﴾ قال: هذا على التقديم والتأخير : كأنه قال : ولقد همت به ، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها.

وقال أحمد بن يحيى ثعلب : أى همت زليخا بالمعصية وكانت مصرة ، وهم يوسف ولم يوقع ما هم به ، فبين الهمين فرق ، ومن هذا قول الشاعر [١] :

هَمَمْتُ بِهَمٍّ مِنْ ثنية لؤلؤ شَفَيتُ غَلِيلاتِ الهَوى مِن فُؤاديَا

فهذا إنما هو حديث نفس من غير عزم . وقيل : هم بها بمعنى : تمنى أن يتزوجها . وقد ذهب جمهور المفسرين من السلف والخلف إلى ما قدمنا من حمل اللفظ على معناه اللغوى ، ويدل على هذا ما سيأتى من قوله: ﴿ **ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب** ﴾ [يوسف : ٥٢]، وقوله : ﴿ **وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء** ﴾ [يوسف : ٥٣] ومجرد الهم لا ينافى العصمة ، فإنها قد وقت العصمة عن الوقوع فى المعصية . وذلك المطلوب وجواب « لو » فى ﴿ **لولا أن رأى برهان ربه** ﴾ محذوف أى لولا أن رأى برهان ربه لفعل ما هم به .

واختلف فى هذا البرهان الذى رآه ما هو ؟ فقيل : إن زليخا قامت عند أن همت به وهم بها إلى صنم لها فى زاوية البيت فسترته بثوب فقال : ما تصنعين ؟ قالت : أستحى من إلهى هذا أن يرانى على هذه الصورة ، فقال يوسف : أنا أولى أن أستحى من الله تعالى وقيل : إنه رأى فى سقف البيت مكتوبا : ﴿ **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة** ﴾ الآية [الإسراء : ٣٢]. وقيل : رأى كفا مكتوبا عليها : ﴿ **وإن عليكم لحافظين** ﴾ [الانفطار : ١٠] . وقيل : إن البرهان هو تذكره عهد الله وميثاقه وما أخذه على عباده . وقيل : نودى يا يوسف أنت مكتوب فى الأنبياء وتعمل عمل السفهاء ؟ . وقيل : رأى صورة يعقوب على الجدار عاضا على أنمله يتوعده [٢] . وقيل غير ذلك مما يطول ذكره . والحاصل : أنه رأى شيئا حال بينه وبين ما هم به .

قوله : ﴿ **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء** ﴾ الكاف نعت مصدر محذوف ، والإشارة بذلك إلى الإراءة المدلول عليها بقوله : ﴿ **لولا أن رأى برهان ربه** ﴾ أو إلى التثبيت المفهوم من ذلك ، أى مثل تلك الإراءة أريناه ، أومثل ذلك التثبيت ثبتناه . ﴿ **لنصرف عنه السوء** ﴾ أى كل ما يسوؤه ، والفحشاء كل أمر مفرط القبح . وقيل : السوء : الثناء القبيح . والأولى : الحمل على العموم فيدخل فيه ما يدل عليه السياق دخولاً أوليًا. وجملة: ﴿ **إنه من عبادنا المخلصين** ﴾ تعليل لما قبله . قرأ ابن عامر وابن كثير وأبو عمر : « المخلصين » بكسر اللام ، وقرأ الآخرون بفتحها . والمعنى على القراءة الأولى : أن يوسف عليه السلام كان ممن أخلص طاعته لله ، وعلى الثانية : أنه كان ممن استخلصه الله للرسالة ، وقد كان عليه السلام مخلصًا مستخلصا .

---

(١) الشاعر : جميل بن عبد الله بن معمر العذرى القضاعى . وافتتن ببثينة ، من فتيات قومه . وكانت منازل بنى عذرة فى وادى القرى ثم إلى أطراف الشام ، وبعدها قصد مصر . الأعلام ٢/ ١٣٨ .

(٢) لم يصح من هذا شيء ، ومن العجيب أن يروى هذه الآثار مفسرون كالطبرى والشوكانى ــ دون أدنى نقد ــ وهذه الصورة التى صور بها يوسف عليه السلام بعيدة كل البعد عن عصمة الأنبياء ؛ لأن الله عصمهم عن الخطايا والدنايا ، قال ابن كثير ٤ / ٢١: « ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك ، فالصواب أن يطلق كما قال الله تعالى » .

﴿ **واستبقا الباب** ﴾ أى تسابقا إليه فحذف حرف الجر وأوصل الفعل بالمفعول ، أو ضمن الفعل معنى فعل آخر يتعدى بنفسه كابتدرا الباب وهذا الكلام متصل بقوله : ﴿ **ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه** ﴾ وما بينهما اعتراض . ووجه تسابقهما أن يوسف يريد الفرار والخروج من الباب ، وامرأة العزيز تريد أن تسبقه إليه لتمنعه ، ووحد الباب هنا وجمعه فيما تقدم ؛ لأن تسابقهما كان إلى الباب الذى يخلص منه إلى خارج الدار ، ﴿ **وقدت قميصه من دبر** ﴾ أى جذبت قميصه من ورائه فانشق إلى أسفله . والقد : القطع ، وأكثر ما يستعمل فيما كان طولا ، والقط بالطاء يستعمل فيما كان عرضًا ، وقع منها ذلك عند أن فر يوسف لما رأى برهان ربه ، فأرادت أن تمنعه من الخروج بجذبها لقميصه ، ﴿ **وألفيا سيدها لدى الباب** ﴾ أى وجدا العزيز هنالك وعنى بالسيد الزوج ؛ لأن القبط يسمون الزوج سيدًا وإنما لم يقل : سيدهما ؛ لأن ملكه ليوسف لم يكن صحيحًا ، فلم يكن سيدًا له .

وجملة : ﴿ **قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا** ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل : فما كان منهما عند أن ألفيا سيدها لدى الباب و« ما » استفهامية، والمراد بالسوء هنا: الزنا . قالت هذه المقالة طلبًا منها للحيلة وللتستر على نفسها، فنسبت ما كان منها إلى يوسف ، أى جزاء يستحقه من فعل مثل هذا ؟ ثم أجابت عن استفهامها بقولها :﴿ **إلا أن يسجن**﴾ أى ما جزاؤه إلا أن يسجن . ويحتمل أن تكون « ما » نافية ، أى ليس جزاؤه إلا السجن أو العذاب الأليم . قيل : والعذاب الأليم هو : الضرب بالسياط ، والظاهر أنه ما يصدق عليه العذاب الأليم من ضرب أو غيره ، وفى الإبهام للعذاب زيادة تهويل .

وجملة : ﴿ **قال هى راودتنى عن نفسى** ﴾ مستأنفة كالجملة الأولى . وقد تقدم بيان معنى المراودة أى هى التى طلبت منى ذلك ، ولم أرد بها سوءا ﴿ **وشهد شاهد من أهلها** ﴾ أى من قرابتها ، وسمى الحكم بينهما شهادة لما يحتاج فيه من التثبت والتأمل . قيل : لما التبس الأمر على العزيز احتاج إلى حاكم يحكم بينهما ليتبين له الصادق من الكاذب . قيل: كان ابن عم لها واقفًا مع العزيز فى الباب . وقيل : ابن خال لها . وقيل : إنه طفل فى المهد تكلم ، قال السهيلى : وهو الصحيح للحديث الوارد فى ذلك عن النبى ﷺ فى ذكر من تكلم فى المهد ، وذكر من جملتهم شاهد يوسف . وقيل : إنه رجل حكيم كان العزيز يستشيره فى أموره وكان من قرابة المرأة ﴿ **إن كان قميصه قد من قبل** ﴾ أى فقال الشاهد هذه المقالة مستدلاً على بيان صدق الصادق منهما ، وكذب الكاذب ، بأن قميص يوسف إن كان مقطوعًا من قبل ، أى من جهة القبل ﴿ **فصدقت** ﴾، أى فقد صدقت بأنه أراد بها سوءًا ﴿ **وهو من الكاذبين** ﴾ فى قوله : إنها راودته عن نفسه . وقرأ يحيى بن يعمر وابن أبى إسحاق : « من قبل » بضم اللام ، وكذا قرأ « من دبر » قال الزجاج : جعلاهما غايتين كقبل وبعد،كأنه قيل : من قبله ومن دبره ، فلما حذف المضاف إليه وهو مراد صار المضاف غاية بعد أن كان المضاف إليه هو الغاية .

﴿ **وإن كان قميصه قد من دبر** ﴾ أى من ورائه ﴿ **فكذبت** ﴾ فى دعواها عليه ﴿ **وهو من الصادقين** ﴾ فى دعواه عليها ، ولا يخفى أن هاتين الجملتين الشرطيتين لا تلازم بين مقدميهما وتاليهما، لاعقلا ولاعادة وليس ها هنا إلا مجرد أمارة غير مطردة، إذ من الجائز أن تجذبه إليها، وهو مقبل عليها فينقدّ القميص من دبر ، وأن تجذبه وهو مدبر عنها فينقدّ القميص من قبل .

﴿ **فلما رأى** ﴾ أى العزيز ﴿ **قميصه** ﴾ أى قميص يوسف ﴿ **قد من دبر قال إنه** ﴾ أى هذا الأمر الذى وقع فيه الاختلاف بينكما ، أو أن قولك : ﴿ **ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً** ﴾ ﴿ **من كيدكن** ﴾ أى من جنس كيدكن يا معشر النساء ﴿ **إن كيدكن عظيم** ﴾ والكيد: المكر والحيلة .

ثم خاطب العزيز يوسف عليه السلام بقوله :﴿ **يوسف أعرض عن هذا** ﴾ أى عن هذا الأمر الذى جرى واكتمه ولا تتحدث به ، ثم أقبل عليها بالخطاب فقال : ﴿ **واستغفرى لذنبك** ﴾ الذى وقع منك ﴿ **إنك كنت** ﴾ بسبب ذلك ﴿ **من الخاطئين** ﴾ أى من جنسهم . والجملة تعليل لما قبلها من الأمر بالاستغفار ، ولم يقل : من الخاطئات تغليباً للمذكر على المؤنث كما فى قوله : ﴿ **وكانت من القانتين** ﴾ [التحريم : ١٢] ومعنى ﴿ **من الخاطئين** ﴾ : من المتعمدين . يقال : خطئ: إذا أذنب متعمداً . وقيل : إن القائل ليوسف ولامرأة العزيز بهذه المقالة : هو الشاهد الذى حكم بينهما .

وقد أخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة فى قوله : ﴿ **وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه** ﴾ قال : هى امرأة العزيز . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن زيد قال : راودته حين بلغ مبلغ الرجال. وأخرج أبو عبيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم من طرق عن ابن عباس فى قوله: ﴿ **هيت لك** ﴾ قال: هلم لك تدعوه إلى نفسها . وأخرج ابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه قال : هلم لك بالقبطية. وأخرج ابن جرير عن الحسن قال : هى كلمة بالسريانية أى عليك. وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال : معناها تعال . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد: إنها لغة عربية تدعوه بها إلى نفسها . وأخرج أبو عبيد وابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس أنه قرأ : ﴿ **هئت لك** ﴾ مكسورة الهاء مضمومة التاء مهموزة ، قال : تهيأت لك . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد فى قوله : ﴿ **إنه ربى** ﴾ قال : سيدى ، قال : يعنى :زوج المرأة .

وأخرج عبد الرزاق والفريابى وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس قال : لما همت به تزينت ثم استلقت على فراشها ﴿ **وهم بها** ﴾ جلس بين رجليها يحل ثيابه ، فنودى من السماء : يابن يعقوب ، لا تكن كطائر نتف ريشه ، فبقى لا ريش له ، فلم يتعظ على النداء شيئًا حتى رأى برهان ربه جبريل فى صورة يعقوب، عاضًا على أصبعه، ففزع فخرجت شهوته من أنامله ، فوثب إلى الباب فوجده مغلقًا ،

فرفع يوسف رجله فضرب بها الباب الأدنى فانفرج له ، واتبعته فأدركته ، فوضعت يديها فى قميصه فشقته حتى بلغت عضلة ساقه ، فألفيا سيدها لدى الباب. وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن على بن أبى طالب فى قوله : ﴿ **همت به وهم بها** ﴾ قال: طمعت فيه وطمع فيها . وكان فيه من الطمع أن هم بحل التكة فقامت إلى صنم لها مكلل بالدر والياقوت فى ناحية البيت، فسترته بثوب أبيض بينها وبينه فقال: أى شىء تصنعين ؟ فقالت: أستحى من إلهى أن يرانى على هذه السوءة، فقال يوسف: تستحين من صنم لا يأكل ولا يشرب ، ولا أستحى أنا من إلهى الذى هو قائم على كل نفس بما كسبت ؟ ثم قال: لا تناليها منى أبدًا ، وهو البرهان الذى رأى. وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ ، والحاكم وصححه عن ابن عباس في قوله : ﴿ **لولا أن رأى برهان ربه** ﴾ قال : مثل له يعقوب فضرب بيده فى صدره فخرجت شهوته من أنامله[1]. وقد أطال المفسرون فى تعيين البرهان الذى رآه ، واختلفت أقوالهم فى ذلك اختلافًا كثيرًا .

وأخرج ابن جرير عن زيد بن ثابت قال : السيد : الزوج يعنى فى قوله : ﴿ **وألفيا سيدها لدى الباب** ﴾ . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد نحوه . وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **إلا أن يسجن أو عذاب أليم** ﴾ قال : القيد .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وشهد شاهد من أهلها** ﴾ قال : صبى أنطقه الله كان فى الدار . وأخرج أحمد وابن جرير والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « تكلم أربعة وهم صغار : ابن ماشطة بنت فرعون [2] ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى ابن مريم » [3] . وأخرج عبد الرزاق والفريابى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وشهد شاهد من أهلها**﴾ قال : كان رجلاً ذا لحية . وأخرج الفريابى وابن جرير وأبو الشيخ عنه قال : كان من خاصة الملك . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن الحسن قال : هو رجل له فهم وعلم . وأخرج ابن أبى حاتم عن زيد بن أسلم قال : ابن عم لها كان حكيما . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد قال : إنه ليس بإنسى ولا جنى هو خلق من خلق الله . قلت : ولعله لم يستحضر قوله تعالى : ﴿ **من أهلها** ﴾ .

﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا** ﴾

---

(١) سبق الكلام على مثل هذه الروايات فى أنها لا تصح أن تضاف إلى الأنبياء ؛ لأن الله عصمهم عن ذلك .

(٢) فى المطبوعة : « ابن ماشطة فرعون » ، والصحيح ما أثبتناه كما هو عند أحمد وابن جرير .

(٣) أحمد ١ / ٣٠٩ ، ٣١٠ وابن جرير ١٢ / ١١٥ والبيهقى فى الدلائل ٢ / ٣٨٩ وقال الهيثمى فى المجمع: « رواه أحمد والبزار والطبرانى فى الكبير والأوسط ، وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط » .

﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ﴾ .

يقال : « نُسوة » بضم النون ، وهى قراءة الأعمش ، والمفضل ، والسُّلَمىّ [١] ، ويقال : ﴿ نسوة ﴾ بكسر النون ، وهى قراءة الباقين والمراد :جماعة من النساء ، ويجوز التذكير فى الفعل المسند إليهن ، كما يجوز التأنيث ، قيل : وهى امرأة ساقي العزيز، وامرأة خبازه ، وامرأة صاحب دوابه ، وامرأة صاحب سجنه ، وامرأة حاجبه . والفتى فى كلام العرب : الشاب . والفتاة : الشابة ، والمراد به هنا : غلامها ، يقال : فتاى وفتاتى، أى غلامى وجاريتى، وجملة: ﴿ قد شغفها حبا ﴾ فى محل رفع على أنها خبر ثان للمبتدأ ، أو فى محل نصب على الحال ، ومعنى : ﴿ شغفها حبا ﴾ غلبها حبه . وقيل : دخل حبه فى شغافها ، قال أبو عبيدة : وشغاف القلب : غلافه وهو جلدة عليه . وقيل : هو وسط القلب ، وعلى هذا يكون المعنى : دخل حبه إلى شغافها فغلب عليه . وأنشد الأصمعى قول الراجز :

يتبعها وهى له شغاف

وقرأ جعفر بن محمد وابن محيصن والحسن: « شعفها » بالعين المهملة. قال ابن الأعرابى: معناه : أجرى حبه عليها، وقرأ غيرهم بالمعجمة. قال الجوهرى: شغفه الحب: أحرق قلبه، وقال أبو زيد : أمرضه ، قال النحاس : معناه عند أكثر أهل اللغة : قد ذهب بها كل مذهب ؛ لأن شغاف الجبال أعاليها، وقد شغف بذلك شغفًا بإسكان الغين المعجمة إذا ولع به، وأنشد أبو عبيدة بيت امرئ القيس :

أتقتلنى وقد شَغَفْتُ فؤادها كما شغف المهنوءَة [٢] الرّجلُ الطالى

قال : فشبهت لوعة الحب بذلك وقرأ الحسن : « قد شغفها » بضم الغين ، قال النحاس : وحكى قد شغفها بكسر الغين ، ولا يعرف ذلك فى كلام العرب إلا شغفها بفتح الغين . ويقال: إن الشغاف : الجلدة اللاصقة بالكبد التى لا ترى، وهى الجلدة البيضاء . فكأنه لصق حبه بقلبها. كلصوق الجلدة بالكبد، وجملة: ﴿ إنا لنراها فى ضلال مبين ﴾ مقررة لمضمون ما قبلها، والمعنى: إنا لنراها ، أى نعلمها فى فعلها هذا ، وهو المراودة لفتاها فى ضلال عن طريق الرشد والصواب المبين ، واضح لا يلتبس على من نظر فيه .

---

(١) فى المطبوعة : « والفضل وسليمان » والصحيح ما أثبتناه .

(٢) المهنوءة : المطلية بالقطران ، وإذا هنئ البعير بالقطران يجد له لذة مع حرقة ، كحرقة الهوى مع لذته .

﴿ **فلما سمعت** ﴾ امرأة العزيز ﴿ **بمكرهن** ﴾ أى بغيبتهن إياها سميت الغيبة مكرًا لاشتراكهما فى الإخفاء . وقيل : أردن أن يتوسلن بذلك إلى رؤية يوسف فلهذا سمى قولهن مكرًا . وقيل : إنها أسرت عليهن فأفشين سرها فسمى ذلك مكرًا ﴿ **أرسلت إليهن** ﴾ أى تدعوهن إليها لينظرن إلى يوسف حتى يقعن فيما وقعت فيه ﴿ **وأعتدت لهن متكأ** ﴾ أى هيأت لهن مجالس يتكئن عليها ، وأعتدت من الاعتداد وهو كل ما جعلته عدة لشىء . وقرأ مجاهد وسعيد بن جبير : «مُتْكا » مخففًا غير مهموز . والمُتْك : هو الأتْرُجّ بلغة القبط ، ومنه قول الشاعر :

نَشْرَبُ الإثم بالصُّواعِ جِهَارًا وَنَرى المُتْكَ بَيْنَنَا مُسْتَعَارَا

وقيل : إن ذلك هو لغة أزد شنوءة . وقيل : حكى ذلك عن الأخفش . وقال الفراء : إنه ماء الورد، وقرأ الجمهور: ﴿ **متكأ** ﴾ بالهمز والتشديد، وأصح ما قيل فيه: إنه المجلس . وقيل: هو الطعام . وقيل : المتكأ : كل ما اتكئ عليه عند طعام أو شراب أو حديث ، وحكى القتيبى أنه يقال : اتكأنا عند فلان ، أى أكلنا ، ومنه قول الشاعر :

فَظَلْلْنَا بنعمةٍ واتكَأْنَا وشَرِبْنَا الحَلالَ مِنْ قُلَلِه

ويؤيد هذا قوله : ﴿ **وآتت كل واحدة منهن سكينا** ﴾ فإن ذلك إنما يكون لشىء يأكلنه بعد أن يقطعنه ، والسكين تذكر وتؤنث ، قاله الكسائى والفراء . قال الجوهرى : والغالب عليه التذكير ، والمراد من إعطائها لكل واحدة سكينا : أن يقطعن ما يحتاج إلى التقطيع من الأطعمة، ويمكن أنها أرادت بذلك ما سيقع منهن من تقطيع أيديهن وقالت ليوسف : ﴿ **اخرج عليهن** ﴾ أى فى تلك الحالة التى هن عليها من الاتكاء ، والأكل وتقطيع ما يحتاج إلى التقطيع من الطعام .

قوله : ﴿ **فلما رأينه أكبرنه** ﴾ أى عظمنه . وقيل : أمْذَيْن ، ومنه قول الشاعر :

إذا مَا رأين الفحْلَ من فوق قلة صَهَلْنَ وَأكْبَرن المَنِّى المقطرا

وقيل : حضن ، قال الأزهرى : « أكبرن » بمعنى : حضن ، والهاء للسكت ، يقال : أكبرت المرأة ، أى دخلت فى الكبر بالحيض ، وقع منهن ذلك دهشًا وفزعا لما شاهدنه من جماله الفائق ، وحسنه الرائق ، ومن ذلك قول الشاعر :

نَأْتِى النِساءَ عَلى أَطْهَارِهِنَّ وَلاَ نَأْتِى النِسَاءَ إِذَا أَكْبَرنَ إِكْبَارَا (١)

وأنكر ذلك أبو عبيدة وغيره ، وقالوا : ليس ذلك فى كلام العرب . قال الزجاج : يقال :

---

(١) قال ابن جرير : « وقد زعم بعض الرواة أن بعض الناس أنشده فى أكبرن بمعنى حضن ، بيتا لا أحسب أن له أصلاً ؛ لأنه ليس بالمعروف عند الرواة » .

أكبرنه ولا يقال : حضنه ، فليس الإكبار بمعنى الحيض ، وأجاب الأزهرى فقال : يجوز أن تكون هاء الوقف لا هاء الكناية ، وقد زيف هذا بأن هاء الوقف تسقط فى الوصل . وقال ابن الأنبارى : إن الهاء كناية عن مصدر الفعل أى أكبرن إكبارًا بمعنى: حضن حيضًا ﴿**وقطعن أيديهن**﴾ أى جرحنها ، وليس المراد به القطع : الذى تبين منه اليد ، بل المراد به : الخدش والحز ، وذلك معروف فى اللغة كما قال النحاس، يقال: قطع يد صاحبه إذا خدشها. وقيل: المراد بأيديهن هنا: أناملهن . وقيل : أكمامهن، والمعنى : أنه لما خرج يوسف عليهن أعظمنه ودهشن ، وراعهن حسنه، حتى اضطربت أيديهن فوقع القطع عليها، وهن فى شغل عن ذلك، بما دهمهن مما تطيش عنده الأحلام، وتضطرب له الأبدان، وتزول به العقول « وقلن حاشا لله» كذا قرأ أبو عمرو بن العلاء بإثبات الألف فى حاشا . وقرأ الباقون بحذفها . وقرأ الحسن : «حاش لله » بإسكان الشين ، وروى عنه أنه قرأ : « حاش الإله » ، وقرأ ابن مسعود وأبىّ : «حاشا لله » . قال الزجاج: وأصل الكلمة من الحاشية بمعنى الناحية تقول : كنت فى حاشية فلان ، أى فى ناحيته، فقولك : حاشا لزيد من هذا ، أى تباعد منه ، وقال أبو علىّ : هو من المحاشاة . وقيل : إن حاش حرف وحاشا فعل ، وكلام أهل النحو فى هذه الكلمة معروف ، ومعناها هنا التنزيه ، كما تقول: أتى القوم حاشا زيدا ، فمعنى ﴿ **حاشا لله** ﴾ : براءة لله وتنزيه له .

قوله : ﴿ **ما هذا بشرا** ﴾ إعمال « **ما** » عمل ليس هى لغة أهل الحجاز ، وبها نزل القرآن كهذه الآية ، وكقوله سبحانه : ﴿ **ما هن أمهاتهم** ﴾ [المجادلة : ٢] وأما بنوتميم فلا يعملونها عمل ليس ، وقال الكوفيون : أصله : ما هذا ببشر ، فلما حذفت الباء انتصب . قال أحمد بن يحيى ثعلب : إذا قلت : ما زيد بمنطلق، فموضع الباء موضع نصب ، وهكذا سائر حروف الخفض ، وأما الخليل وسيبويه وجمهور النحويين فقد أعملوها عمل ليس ، وبه قال البصريون ، والبحث مقرر فى كتب النحو بشواهده وحججه ، وإنما نفين عنه البشرية ؛ لأنه قد برز فى صورة قد لبست من الجمال البديع ما لم يعهد على أحد من البشر ، ولا أبصر المبصرون ما يقاربه فى جميع الصور البشرية ، ثم لما نفين عنه البشرية لهذه العلة أثبتن له الملكية ، وإن كن لا يعرفن الملائكة لكنه قد تقرر فى الطباع أنهم على شكل فوق شكل البشر فى الذات والصفات ، وأنهم فائقون فى كل شىء كما تقرر أن الشياطين على العكس من ذلك ، ومن هذا قول الشاعر :

فلستَ لإنْسىٍّ ولكن لِمَلاَكٍ تَنزَّلَ من جَوِّ السماءِ يَصُوب

وقرأ الحسن :« ما هذا بشراء » ، على أن الباء حرف جر والشين مكسورة ، أى ما هذا بعبد يشترى ، وهذه قراءة ضعيفة لا تناسب ما بعدها من قوله : ﴿ **إن هذا إلا ملك كريم** ﴾ .

واعلم أنه لا يلزم من قول النسوة هذا أن الملائكة صورهم أحسن من صور بنى آدم فإنهن لم يقلنه لدليل ، بل حكمن على الغيب بمجرد الاعتقاد المرتكز فى طباعهن وذلك ممنوع ، فإن الله

سبحانه يقول : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم** ﴾ [التين : ٤] وظاهر هذا أنه لم يكن شىء مثله من أنواع المخلوقات فى حسن تقويمه وكمال صورته . فما قاله صاحب الكشاف فى هذا الكشاف فى هذا المقام هو من جملة تعصباته لما رسخ فى عقله من أقوال المعتزلة [1] ، على أن هذه المسألة ، أعنى مسألة المفاضلة بين الملائكة والبشر، ليست من مسائل الدين فى ورد ولا صدر ، فما أغنى عباد الله عنها ، وأحوجهم إلى غيرها من مسائل التكليف .

﴿ **قالت فذلكن الذى لمتننى فيه** ﴾ الإشارة إلى يوسف والخطاب للنسوة ، أى عيرتنى فيه ، قالت لهن هذا لما رأت افتتانهن بيوسف إظهارًا لعذر نفسها ، ومعنى ﴿ **فيه** ﴾ : أى فى حبه . وقيل : الإشارة إلى الحب ، والضمير له أيضًا ، والمعنى : فذلك الحب الذى لمتننى فيه هو ذلك الحب ، والأول أولى ، ورجحه ابن جرير . وأصل اللوم : الوصف القبيح ، ثم لما أظهرت عذر نفسها عند النسوة بما شاهدته مما وقعن فيه عند ظهوره لهن ضاق صدرها عن كتم ما تجده فى قلبها من حبه ، فأقرت بذلك وصرحت بما وقع منها من المراودة له فقالت : ﴿ **ولقد راودته عن نفسه فاستعصم** ﴾ أى استعف وامتنع مما أريده ، طالبًا لعصمة نفسه عن ذلك ، ثم توعدته إن لم يفعل ما تريده ، كاشفة لجلباب الحياء ، هاتكة لستر العفاف ، فقالت : ﴿ **ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونًا من الصاغرين** ﴾ أى لئن لم يفعل ما قد أمرته به فيما تقدم ذكره عند أن غلقت الأبواب ، وقالت: هيت لك ﴿ **ليسجنن** ﴾ أى يعتقل فى السجن ﴿ **وليكونًا من الصاغرين** ﴾ الأذلاء لما يناله من الإهانة ، ويسلب عنه من النعمة والعزة فى زعمها . قرئ : «ليكونن» بالتثقيل والتخفيف . قيل : والتخفيف أولى ؛ لأن النون كتبت فى المصحف ألفًا على حكم الوقف ، وذلك لا يكون إلا فى الخفيفة ، وأما ﴿ **ليسجنن** ﴾ فبالتثقيل لا غير .

فلما سمع يوسف مقالها هذا ، وعرف أنها عزمة منها مع ما قد علمه من نفاذ قولها عند زوجها العزيز ، قال مناجيًا لربه سبحانه : ﴿ **ربّ السجن** ﴾ أى يا رب السجن الذى أوعدتنى هذه به ﴿ **أحب إلىّ مما يدعوننى إليه**﴾ من مؤاتاتها والوقوع فى المعصية العظيمة التى تذهب بخير الدنيا والآخرة. قال الزجاج: أى دخول السجن، فحذف المضاف. وحكى أبو حاتم أن عثمان بن عفان رضى الله عنه قرأ : « السجن » بفتح السين ، وقرأ كذلك ابن أبى إسحاق وعبد الرحمن الأعرج ويعقوب ، وهو مصدر سجنه سجنا ، وإسناد الدعوة إليهن جميعا ؛ لأن النسوة رغبنه فى مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها ، ثم جرى على هذا فى نسبة الكيد إليهن جميعًا فقال: ﴿**وإلا تصرف عنى كيدهن**﴾ أما الكيد من امرأة العزيز فما قد قصه الله سبحانه فى هذه السورة، وأما كيد سائر النسوة فهو ما تقدم من الترغيب له فى المطاوعة والتخويف من المخالفة . وقيل : إنها كانت كل واحدة تخلو به وحدها ، وتقول له : يا يوسف اقض لى حاجتى فأنا خير لك من

---

(١) الكشاف ٢ / ٤٦٦ .

امرأة العزيز . وقيل : إنه خاطب امرأة العزيز بما يصلح لخطاب جماعة النساء تعظيمًا لها أو عدولاً عن التصريح إلى التعريض . والكيد : الاحتيال ، وجزم ﴿ **أصب إليهن** ﴾ على أنه جواب الشرط ، أى أمل إليهن من صبا يصبو إذا مال واشتاق ، ومنه قول الشاعر [١] :

إلى هِنْدٍ صبا قَلْبِى وهِنْدٌ حُبُّها يُصْبِى

﴿ **وأكن من الجاهلين** ﴾ معطوف على ﴿ **أصب** ﴾ ، أى أكن ممن يجهل ما يحرم ارتكابه ويقدم عليه ، أو ممن يعمل عمل الجهال .

قوله : ﴿ **فاستجاب له ربه** ﴾ لما قال : ﴿ **وإلا تصرف عنى كيدهن** ﴾ كان ذلك منه تعرضًا للدعاء، وكأنه قال : اللهم اصرف عنى كيدهن ، فالاستجابة من الله تعالى له هى بهذا الاعتبار؛ لأنه لم يتقدم دعاء صريح منه عليه السلام ، والمعنى : أنه لطف به وعصمه عن الوقوع فى المعصية ؛ لأنه إذا صرف عنه كيدهن لم يقع شىء مما رمنه منه ، ووجه إسناد الكيد قد تقدم ، وجملة : ﴿ **إنه هو السميع العليم** ﴾ تعليل لما قبلها من صرف كيد النسوة عنه ، أى : إنه هو السميع لدعوات الداعين له ، العليم بأحوال الملتجئين إليه .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **قد شغفها** ﴾ غلبها . وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عنه : ﴿ **قد شغفها** ﴾ قال : قتلها حب يوسف . الشغف : الحب القاتل ، والشعف : حب دون ذلك ، والشغاف: حجاب القلب . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه أيضًا : ﴿ **قد شغفها** ﴾ قال : قد علقها .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن قتادة فى قوله : ﴿ **فلما سمعت بمكرهن** ﴾ قال : بحديثهن . وأخرج ابن أبى حاتم عن سفيان : ﴿ **فلما سمعت بمكرهن** ﴾ قال : بعملهن وكل مكر فى القرآن فهو عمل . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ فى قوله : ﴿ **وأعتدت لهن متكأ** ﴾ قال : هيأت لهن مجلسًا ، وكان سنتهم إذا وضعوا المائدة أعطوا كل إنسان سكينا يأكل بها ﴿ **فلما رأينه** ﴾ قال : فلما خرج عليهن يوسف ﴿ **أكبرنه** ﴾ قال : أعظمنه ونظرن إليه ، وأقبلن يحززن أيديهن بالسكاكين ، وهن يحسبن أنهن يقطعن الطعام . وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس ﴿ **وأعتدت لهن متكأ** ﴾ قال : أعطتهن أترنجًا وأعطت كل واحدة منهن سكينا ، فلما رأين يوسف أكبرنه ، وجعلن يقطعن أيديهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترنج . وأخرج مسدد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عنه: المتكأ : الأترنج وكان يقرأها خفيفة . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد ﴿ **منكأ** ﴾ قال : طعامًا . وأخرج أبو عبيد وابن المنذر عنه قال : هو الأترنج .

---

(١) الشاعر : هو يزيد ابن ضبة الثقفى ، وضبة : أمه ، شاعر كبير ، من أهل الطائف مات أبوه وخلفه صغيرا فحضنته أمه ، فنسب إليها . الأعلام ٨ / ١٨٩ .

وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة قال : هو كل شىء يقطع بالسكين . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن الضحاك مثله . وأخرج أبو الشيخ من طريق عبد العزيز بن الوزير بن الكميت بن زيد قال : حدثنى أبى عن جدى يقول فى قوله : ﴿ **فلما رأينه أكبرنه** ﴾ قال : أمْنَيْن، وأنشد:

ولما رأته الخيل من رأس شاهق صهلن وأمنين المنى المدفقا

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم من طريق عبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده ابن عباس فى قوله : ﴿ **فلما رأينه أكبرنه** ﴾ قال : لما خرج عليهن يوسف حضن من الفرح ، وذكر قول الشاعر الذى قدمنا ذكره :

نأتى النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلاَ نَأتِى النِّسَاءَ إِذَ أَكْبَرْنَ إِكْبَارَا

وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد فى قوله: ﴿ **أكبرنه** ﴾ أعظمنه ﴿**وقطعن أيديهن** ﴾ قال : حزا بالسكين حتى ألقينها ﴿ **وقلن حاشا لله** ﴾ قال : معاذ الله . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة فى قوله : ﴿ **إن هذا إلا ملك كريم** ﴾ قال : قلن : ملك من الملائكة ، من حسنه. وأخرج أبو الشيخ عن منبه عن أبيه قال : مات من النسوة التى قطعن أيديهن تسع عشرة امرأة كمدًا . وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه والحاكم عن أنس عن النبى ﷺ قال : « أعطى يوسف وأمه شطر الحسن » (١) . وقد وردت روايات عن جماعة من السلف فى وصف حسن يوسف والمبالغة فى ذلك ، ففى بعضها أنه أعطى نصف الحسن ، وفى بعضها ثلثه ، وفى بعضها ثلثيه .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس : ﴿ **فاستعصم** ﴾ قال : امتنع . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة : ﴿ **فاستعصم** ﴾ قال : فاستعصى . وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن زيد فى قوله : ﴿ **وإلا تصرف عنى كيدهن** ﴾ قال : إلا تكن منك أنت القوى والمنعة لا تكن منى ولا عندى . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ : ﴿ **أصب إليهن** ﴾ قال : أتبعهن . وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال : أطاوعهن.

﴿ **ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ** (٣٥) **وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** (٣٦) **قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ**

(١) أحمد ٣ / ٢٨٦ وابن جرير ١٢ / ٢٣ وفى التاريخ ١ / ١٦٨ وصححه الحاكم ٢/ ٥٧٠ على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى .

**قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٤٠) ﴾ .

معنى : ﴿ **بدا لهم** ﴾ : ظهر لهم ، والضمير للعزيز وأصحابه الذين يدبرون الأمر معه ويشيرون عليه ، وأما فاعل ﴿ **بدا لهم** ﴾ فقال سيبويه : هو . ﴿ **ليسجننه** ﴾ أى ظهر لهم أن يسجنوه . قال المبرد: وهذا غلط ؛ لأن الفاعل لا يكون جملة ولكن الفاعل ما دل عليه ﴿ **بدا** ﴾ وهو المصدر كما قال الشاعر :

وحقَّ لمن أبو موسى أبوهُ يُوَفَّقه الذى نصَبَ الجبالاَ

أى وحق الحق ، فحذف الفاعل لدلالة الفعل عليه . وقيل : الفاعل المحذوف هو رأى ، أى وظهر لهم رأى لم يكونوا يعرفونه من قبل ، وهذا الفاعل حذف لدلالة ﴿ **ليسجننه** ﴾ عليه ، واللام فى ﴿ **ليسجننه** ﴾ جواب قسم محذوف على تقدير القول ،أى ظهر لهم من بعد ما رأوا الآيات قائلين : والله ليسجننه ، وقرئ : « لتسجننه » بالمثناة الفوقية على الخطاب، إما للعزيز ومن معه أوله وحده على طريق التعظيم . والآيات : قيل : هى القميص وشهادة الشاهد وقطع الأيدى . وقيل : هى البركات التى فتحها الله عليهم بعد وصول يوسف إليهم ، ولم يجد ذلك فيهم ، بل كانت امرأته هى الغالبة على رأيه ، الفاعلة لما يطابق هواها فى يوسف ، وإنفاذ ما تقدم منها من الوعيد له بقولها : ﴿ **ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونًا من الصاغرين** ﴾ . قيل : وسبب ظهور هذا الرأى لهم فى سجن يوسف أنهم أرادوا ستر القالة ، وكتم ما شاع فى الناس ، من قصة امرأة العزيز معه . وقيل : إن العزيز قصد بسجنه الحيلولة بينه وبين امرأته ، لما علم أنها قد صارت بمكان من حبه لا تبالى معه بحمل نفسها عليه على أى صفة كانت ، ومعنى قوله : ﴿ **حتى حين** ﴾ إلى مدة غير معلومة كما قاله أكثر المفسرين . وقيل : إلى انقطاع ما شاع فى المدينة . وقال سعيد بن جبير إلى سبع سنين . وقيل : إلى خمس . وقيل : إلى ستة أشهر، وقد تقدم فى البقرة الكلام على تفسير الحين [١] . وحتى بمعنى إلى [٢] .

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿ **ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾ [البقرة : ٣٦] .

(٢) كقوله تعالى : ﴿ **حتى مطلع الفجر** ﴾ [القدر : ٥] .

قوله : ﴿ **ودخل معه السجن فتيان** ﴾ فى الكلام حذف متقدم عليه ، والتقدير : وبدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين فسجنوه . ﴿ **ودخل معه السجن فتيان** ﴾ ومع للمصاحبة ، وفتيان تثنية فتى ، وهذا يدل على أنهما عبدان له ، ويحتمل أن يكون الفتى اسمًا للخادم وإن لم يكن مملوكًا . وقد قيل : إن أحدهما خباز الملك ، والآخر ساقيه وقد كانا وضعا للملك سما لما ضمن لهما أهل مصر مالاً فى مقابلة ذلك ، ثم إن الساقى رجع عن ذلك وقال للملك : لا تأكل الطعام فإنه مسموم ، وقال الخباز : لا تشرب فإن الشراب مسموم ، فقال الملك للساقى : اشرب ، فشرب فلم يضره ، وقال للخباز : كل فأبى فجرب الطعام على حيوان فهلك مكانه فحبسهما ، وكان دخولهما السجن مع دخول يوسف. وقيل : قبله . وقيل : بعده. قال ابن جرير : إنهما سألا يوسف عن علمه فقال : إنى أعبر الرؤيا فسألاه عن رؤياهما كما قص الله سبحانه : ﴿ **قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمرا** ﴾ أى رأيتنى ، والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة ، والمعنى : إنى أرانى أعصر عنبا فسماه باسم ما يؤول إليه ؛ لكونه المقصود من العصر، وفى قراءة ابن مسعود « أعصر عنبًا»، قال الأصمعى : أخبرنى المعتمر بن سليمان أنه لقى أعرابيًا ومعه عنب ، فقال له : ما معك ؟ فقال : خمر . وقيل : معنى ﴿**أعصر خمرًا** ﴾ ، أى : عنب خمر [1] ، فهو على حذف مضاف ، وهذا الذى رأى هذه الرؤيا هو الساقى ، وهذه الجملة مستأنفة لتقدير سؤال ، وكذلك الجملة التى بعدها ، وهى : ﴿ **وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا** ﴾ ثم وصف الخبز هذا بقوله : ﴿ **تأكل الطير منه** ﴾ وهذا الرائى لهذه الرؤيا هو الخباز ثم قالا ليوسف جميعًا بعد أن قصّا رؤياهما عليه ﴿ **نبئنا بتأويله** ﴾ أى تأويل ما قصصناه عليك من مجموع المرئيين أو بتأويل المذكور لك من كلامنا . وقيل : إن كل واحد منهما قال له ذلك عقب قص رؤياه عليه ، فيكون الضمير راجعًا إلى ما رآه كل واحد منهما . وقيل : إن الضمير فى تأويله موضوع موضع اسم الإشارة ، والتقدير بتأويل ذلك ﴿ **إنا نراك من المحسنين** ﴾ أى من الذين يحسنون عبارة الرؤيا، وكذا قال الفراء: إن معنى ﴿ **من المحسنين** ﴾ : من العالمين الذين أحسنوا العلم ، وقال ابن إسحاق : من المحسنين إلينا ، إن فسرت ذلك ، أو من المحسنين إلى أهل السجن ، فقد روى أنه كان ذلك .

وجملة : ﴿ **قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما** ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدر ، ومعنى ذلك : أنه يعلم شيئا من الغيب ، وأنه لا يأتيهما إلى السجن طعام إلا أخبرهما بماهيته قبل أن يأتيهما ، وهذا ليس من جواب سؤاليهما تعبير ما قصّاه عليه ، بل جعله عليه السلام مقدمة قبل تعبيره لرؤياهما بيانًا لعلو مرتبته فى العلم ، وأنه ليس من المعبرين الذين يعبرون الرؤيا عن ظن وتخمين ، فهو كقول عيسى عليه السلام : ﴿ **وأنبئكم بما تأكلون** ﴾ [آل عمران : ٤٩] وإنما قال يوسف عليه السلام لهما بهذا ليحصل الانقياد منهما له فيما يدعوهما إليه بعد ذلك من الإيمان بالله والخروج من الكفر ، ومعنى ﴿ **ترزقانه** ﴾ : يجرى

(١) القرطبى ٥ / ٣٤١٩ .

عليهما من جهة الملك أو غيره ، والجملة صفة لطعام أو يرزقكما الله سبحانه ، والاستثناء بقوله: ﴿ **إلا نبأتكما بتأويله** ﴾ مفرغ من أعم الأحوال ، أى لا يأتيكما طعام فى حال من الأحوال إلا حال ما نبأتكما، أى بينت لكما ماهيته وكيفيته، قبل أن يأتيكما ، وسماه تأويلاً بطريق المشاكلة ؛ لأن الكلام فى تأويل الرؤيا ، أو المعنى : إلا نبأتكما بما يؤول إليه الكلام من مطابقة ما أخبركما به للواقع .

والإشارة بقوله : ﴿ **ذلكما** ﴾ إلى التأويل ، والخطاب للسائلين له عن تعبير رؤياهما ﴿ **مما علمنى ربى** ﴾ بما أوحاه إلىَّ وألهمنى إياه . لا من قبيل الكهانة والتنجيم [1] ونحو ذلك مما يكثر فيه الخطأ ، ثم بين لهما أن ذلك الذى ناله من هذه الرتبة العلية والعلوم الجمة هو بسبب ترك الملة التى لا يؤمن أهلها بالله ولا بالآخرة واتباعه لملة الأنبياء من آبائه فقال : ﴿ **إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله** ﴾ وهو كلام مستأنف يتضمن التعليل لما قبله ، والمراد بالترك : هو عدم التلبس بذلك من الأصل ؛ لا أنه قد كان تلبس به ثم تركه، كما يدل عليه قوله: ﴿ **ما كان لنا أن نشرك بالله** ﴾ ، ثم وصف هؤلاء القوم بما يدل على تصلبهم فى الكفر وتهالكهم عليه ، فقال : ﴿**وهم بالآخرة هم كافرون** ﴾ أى هم مختصون بذلك دون غيرهم لإفراطهم فى الكفر بالله .

وقوله : ﴿ **واتبعت** ﴾ معطوف على ﴿ **تركت** ﴾ ، وسماهم آباء جميعًا ؛ لأن الأجداد آباء، وقدم الجد الأعلى ، ثم الجد الأقرب ، ثم الأب لكون إبراهيم هو أصل هذه الملة التى كان عليها أولاده ، ثم تلقاها عنه إسحاق ، ثم يعقوب ، وهذا منه عليه السلام لترغيب صاحبيه فى الإيمان بالله ﴿ **ما كان لنا أن نشرك بالله** ﴾ أى ما صح لنا ذلك فضلاً عن وقوعه ، والضمير فى ﴿ **لنا** ﴾ له وللأنبياء المذكورين. والإشارة بقوله: ﴿ **ذلك** ﴾ إلى الإيمان المفهوم من قوله: ﴿**ما كان لنا أن نشرك بالله** ﴾ ، و ﴿ **من فضل الله علينا** ﴾ خبر اسم الإشارة ، أى ناشئ من تفضلات الله علينا ولطفه بنا بما يجعله لنا من النبوة المتضمنة للعصمة عن معاصيه ، ومن فضل الله على الناس كافة ببعثة الأنبياء إليهم وهدايتهم إلى ربهم ، وتبيين طرائق الحق لهم ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يشكرون** ﴾ الله سبحانه على نعمه التى أنعم بها عليهم ، فيؤمنون به ويوحدون ، ويعملون بما شرعه لهم .

قوله : ﴿ **يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار** ﴾ جعلهما مصاحبين للسجن لطول مقامهما فيه . وقيل المراد : يا صاحبى فى السجن ؛ لأن السجن ليس بمصحوب فيه ، وأن ذلك من باب يا سارق الليلة ، وعلى الأول يكون من باب قوله : ﴿**أصحاب الجنة** ﴾ [الأعراف : ٤٢] ﴿ **أصحاب النار** ﴾ [المائدة : ٢٩] والاستفهام للإنكار مع التقريع والتوبيخ .

ومعنى التفرق هنا هو التفرق فى الذوات والصفات والعدد أى : هل الأرباب المتفرقون فى

---

(١) المُنَجِّمُ والمُتَنَجِّمُ : الذى ينظر فى النجوم بحسب مواقيتها وسيرها . اللسان ١٢ / ٥٧٠ .

ذواتهم ، المختلفون فى صفاتهم ، المتنافون فى عددهم خير لكما يا صاحبى السجن أم الله المعبود بحق ، المتفرد فى ذاته وصفاته ، الذى لا ضد له ولا ند ولا شريك ، القهار الذى لا يغالبه مغالب ، ولا يعانده معاند ؟

أورد يوسف عليه السلام على صاحبى السجن هذه الحجة القاهرة على طريق الاستفهام ؛ لأنهما كانا ممن يعبد الأصنام. وقد قيل : إنه كان بين أيديهما أصنام يعبدونها عند أن خاطبهما بهذا الخطاب ، ولهذا قال لهما : ﴿ **ما تعبدون من دونه إلا أسماءً سميتموها** ﴾ أى إلا أسماء فارغة سميتموها ولا مسميات لها ، وإن كنتم تزعمون أن لها مسميات ، وهى الآلهة التى تعبدونها لكنها لما كانت لا تستحق التسمية بذلك صارت الأسماء كأنها لا مسميات لها . وقيل : المعنى : ما تعبدون من دون الله إلا مسميات أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم من تلقاء أنفسكم ، وليس لها من الإلهية شىء إلا مجرد الأسماء لكونها جمادات لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر ، وإنما قال : ﴿ **ما تعبدون** ﴾ على خطاب الجمع ، وكذلك ما بعده من الضمائر ؛ لأنه قصد خطاب صاحبى السجن ومن كان على دينهم ، ومفعول سميتموها الثانى محذوف ، أى سميتموها آلهة من عند أنفسكم ﴿ **ما أنزل الله بها** ﴾ أى بتلك التسمية ﴿ **من سلطان** ﴾ من حجة تدل على صحتها ﴿**إن الحكم إلا لله** ﴾ أى ما الحكم إلا لله فى العباد ، فهو الذى خلقكم وخلق هذه الأصنام التى جعلتموها معبودة بدون حجة ولابرهان، وجملة : ﴿ **أمر ألا تعبدوا إلا إياه** ﴾ مستأنفة ، والمعنى : أنه أمركم بتخصيصه بالعبادة دون غيره مما تزعمون أنه معبود ، ثم بين لهم أن عبادته وحده دون غيره هى دين الله الذى لا دين غيره ، فقال : ﴿ **ذلك**﴾ أى تخصيصه بالعبادة ﴿ **الدين القيم** ﴾ أى المستقيم الثابت ، ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ أن ذلك هو دينه القويم ، وصراطه المستقيم لجهلكم وبعدكم عن الحقائق .

وقد أخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة قال : سألت ابن عباس عن قوله : ﴿ **ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات** ﴾ فقال : ما سألنى عنها أحد قبلك ، من الآيات : قد القميص ، وأثرها فى جسده ، وأثر السكين ، وقالت امرأة العزيز : إن أنت لم تسجنه ليصدقنه الناس . وأخرج أبو الشيخ عن ابن زيد قال : من الآيات : كلام الصبى . وأخرج ابن جرير عن قتادة قال : الآيات : حزهن أيديهن ، وقد القميص .

وأقول : إن كان المراد بالآيات : الآيات الدالة على براءته فلا يصح عد قطع أيدى النسوة منها ؛ لأنه وقع منهن ذلك لما حصل لهن من الدهشة عند ظهوره لهن ، مع ما ألبسه الله سبحانه من الجمال ، الذى تنقطع عند مشاهدته عرى الصبر ، وتضعف عند رؤيته قوى التجلد ، وإن كان المراد : الآيات الدالة على أنه قد أعطى من الحسن ما يسلب عقول المبصرين ، ويذهب بإدراك الناظرين ، فنعم يصح عد قطع الأيدى من جملة الآيات ، ولكن ليس هذه الآيات هى المرادة هنا .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس قال : عوقب يوسف ثلاث مرات : أما أول مرة فبالحبس لما كان من همه بها ، والثانية لقوله : ﴿ **اذكرنى عند ربك** ﴾ ﴿ **فلبث فى السجن بضع سنين** ﴾ عوقب بطول الحبس، والثالثة حيث قال : ﴿ **أيتها العير إنكم لسارقون** ﴾ فاستقبل فى وجهه : ﴿ **إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل** ﴾.

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما** ﴾ خازن الملك على طعامه ، والآخر ساقيه على شرابه . وأخرج ابن جرير عنه فى قوله : ﴿ **إنى أرانى أعصر خمرًا** ﴾ قال : عنبًا . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن مجاهد ﴿ **نبئنا بتأويله** ﴾ قال : عبارته . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة فى قوله : ﴿ **إنا نراك من المحسنين** ﴾ قال : كان إحسانه فيما ذكر لنا أنه كان يعزى حزينهم ، ويداوى مريضهم ، ورأوا منه عبادة واجتهادا فأحبوه . وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ ، والبيهقى فى الشعب عن الضحاك قال : كان إحسانه أنه إذا مرض إنسان فى السجن قام عليه ، وإذا ضاق عليه المكان أوسع له ، وإذا احتاج جمع له . وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال : دعا يوسف لأهل السجن فقال : اللهم لا تعم عليهم الأخبار ، وهون عليهم مر الأيام .

وأخرج أبو عبيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن جريج فى قوله : ﴿ **لا يأتيكما طعام** ﴾ الآية قال : كره العبارة لهما فأجابهما بغير جوابهما ليريهما أنَّ عنده علمًا ، وكان الملك إذا أراد قتل إنسان صنع له طعامًا معلومًا فأرسل به إليه ، فقال يوسف : ﴿ **لا يأتيكما طعام ترزقانه** ﴾ إلى قوله : ﴿ **يشكرون** ﴾ فلم يدعه صاحبا الرؤيا حتى يعبر لهما ، فكره العبارة فقال : ﴿ **يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ قال : إن المؤمن ليشكر ما به من نعمة الله ، ويشكر ما بالناس من نعم الله، وذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول : يا رب شاكر نعمة غير منعم عليه لا يدرى، ويا رب حامل فقه غير فقيه . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة فى قوله : ﴿ **أأرباب متفرقون**﴾ الآية قال : لما عرف يوسف أن أحدهما مقتول دعاهما إلى حظهما من ربهما ، وإلى نصيبهما من آخرتهما . وأخرج أبو الشيخ عن ابن جريج فى قوله : ﴿ **ذلك الدين القيم** ﴾ قال : العدل ، فقال :

﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)** ﴾ .

هذا هو بيان ما طلباه منه من تعبير رؤياهما ، والمراد بقوله : ﴿ **أما أحدكما** ﴾ هو الساقى ، وإنما أبهمه لكونه مفهومًا أو لكراهة التصريح للخباز بأنه الذى سيصلب ﴿ **فيسقى ربه خمرا** ﴾ أى مالكه ، وهى عهدته التى كان قائما بها فى خدمة الملك ، فكأنه قال : أما أنت أيها الساقى فستعود إلى ما كنت عليه ، ويدعو بك الملك ويطلقك من الحبس . ﴿ **وأما الآخر** ﴾ وهو الخباز ﴿**فيصلب فتأكل الطير من رأسه** ﴾ تعبيرًا لما رآه من أنه يحمل فوق رأسه خبزًا فتأكل الطير منه ﴿**قضى الأمر الذى فيه تستفتيان** ﴾ وهو ما رأياه وقصاه عليه . يقال : استفتاه : إذا طلب منه بيان حكم شىء سأله عنه مما أشكل عليه ، وهما قد سألاه تعبير ما أشكل عليهما من الرؤيا .

﴿ **وقال للذى ظن أنه ناج منهما** ﴾ أى قال يوسف ، والظان هو أيضًا يوسف . والمراد بالظن : العلم ؛ لأنه قد علم من الرؤيا نجاة الشرابى وهلاك الخباز ، هكذا قال جمهور المفسرين . وقيل : الظاهر على معناه ؛ لأن عابر الرؤيا إنما يظن ظنا والأول أولى وأنسب بحال الأنبياء ولا سيما وقد أخبر عن نفسه عليه السلام بأنه قد أطلعه الله على شىء من علم الغيب ، كما فى قوله : ﴿ **لا يأتيكما طعام ترزقانه** ﴾ الآية . وجملة : ﴿ **اذكرنى عند ربك** ﴾ هى مقول القول ، أمره بأن يذكره عند سيده ، ويصفه بما شاهده منه من جودة التعبير والاطلاع على شىء من علم الغيب ، وكانت هذه المقالة منه عليه السلام صادرة عن ذهول ونسيان عن ذكر الله بسبب الشيطان ، فيكون ضمير المفعول فى أنساه عائدًا إلى يوسف ، هكذا قال بعض المفسرين ، ويكون المراد بربه فى قوله : « **ذكر ربه** » هو الله سبحانه ، أى إنساء الشيطان يوسف ذكر الله تعالى فى تلك الحال . ﴿ **وقال للذى ظن أنه ناج منهما** ﴾ يذكره عند سيده ليكون ذلك سببا لانتباهه على ما أوقعه من الظلم البين عليه بسجنه بعد أن رأى من الآيات ما يدل على براءته .

وذهب كثير من المفسرين إلى أن الذى أنساه الشيطان ذكر ربه هو الذى نجا من الغلامين وهو الشرابى ، والمعنى : إنساء الشيطان الشرابى ذكر سيده ، أى ذكره لسيده فلم يبلغ إليه ما أوصاه به يوسف من ذكره عند سيده ، ويكون المعنى : فأنساه الشيطان ذكر إخباره بما أمره به يوسف مع خلوصه من السجن ، ورجوعه إلى ما كان عليه من القيام بسقى الملك ، وقد رجح هذا بكون الشيطان لا سبيل له على الأنبياء ، وأجيب بأن النسيان وقع من يوسف ، ونسبته إلى الشيطان على طريق المجاز ، والأنبياء غير معصومين عن النسيان إلا فيما يخبرون به عن الله سبحانه ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنما أنا بشر مثلكم ، أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكرونى » [1] ورجح أيضًا بأن النسيان ليس بذنب ، فلو كان الذى أنساه الشيطان ذكر ربه هو يوسف لم يستحق العقوبة على ذلك بلبثه فى السجن بضع سنين ، وأجيب بأن النسيان هنا بمعنى الترك ؛ وأنه عوقب بسبب استعانته بغير الله سبحانه ، ويؤيد رجوع الضمير إلى يوسف ما بعده

---

(١) البخارى فى الصلاة (٤٠١) ومسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٥٧٢ / ٨٩) كلاهما عن عبد الله بن مسعود .

من قولـه : ﴿ **فلبث فى السجن بـضـع سنين** ﴾ ، ويؤيد رجوعه إلى الذى نجا من الغلامين قوله فيما سيأتى : ﴿ **وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمـة**﴾ سنة .

﴿ **فلبث** ﴾ أى يوسف ﴿**فى السجن**﴾ بسبب ذلك القول الذى قاله للذى نجا من الغلامين، أو بسبب ذلك الإنساء ﴿ **بـضع سنين** ﴾ البضع : ما بين الثلاث إلى التسع كما حكاه الهروى عن العرب ، وحكى عن أبى عبيدة أن البضع : ما دون نصف العقد . يعنى : ما بين واحد إلى أربعة . وقيل : ما بين ثلاث إلى سبع ، حكاه قطرب ، وحكى الزجاج أنه ما بين الثلاث إلى الخمس . وقد اختلف فى تعيين قدر المدة التى لبث فيها يوسف فى السجن ، فقيل : سبع سنين. وقيل : اثنتا عشرة سنة . وقيل : أربـع عشرة سـنة . وقيـل : خمس سنين .

وقد أخرج ابن جرير عن عكرمة فى قوله ﴿ **أما أحدكما** ﴾ قال : أتاه فقال : رأيت فيما يرى النائم أنى غرست حبلة[1] من عنب فنبتت ، فخرج فيه عناقيد فعصرتهن ثم سقيتهن الملك فقال : تمكث فى السجن ثلاثة أيام ، ثم تخرج فتسقيه خمرًا . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن مسعود قال : ما رأى صاحبا يوسف شيئاً ، إنما تحالما ليجربا علمه ، فلما أول رؤياهما قالا : إنما كنا نلعب ، ولم نر شيئا فقال : ﴿ **قـضى الأمر الذى فيه تستفتيان** ﴾ يقول : وقعت العبارة فصار الأمر على ما عبر يوسف . وأخرج أبو عبيد وابن المنذر وأبو الشيخ عن أبى مجلز قال : كان أحد اللذين قصا على يوسف الرؤيا كاذبًا .

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن ساباط : ﴿ **وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عنـد ربـك** ﴾ قال : عند ملك الأرض . وأخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب العقوبات ، وابن جرير والطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لو لم يقل يوسف الكلمة التى قال ، ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغى الفرج من عند غير الله »[2] . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة مرفوعًا نحوه ، وهو مرسل[3] . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى هريرة مرفوعًا نحوه . وأخرج أحمد فى الزهد ، وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن الحسن مرفوعًا نحوه ، وهو مرسل[4] . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة فذكر نحوه ، وهو مرسل أيضًا[5] .

---

(١) الحَبَلة . طاق من قضبان الكرم . والحَبَلُ : شجر العنب واحدته حَبَلة . اللسان ١١ / ١٣٨

(٢) ابن جرير ١٢/ ١٣٢ والطبرانى (٤٠/ ١١٦) وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٤٢، ٤٣ : « وفيه إبراهيم بن يزيد القرشى المكى وهو متروك » ، وقال ابن كثير ٤/ ٢٩ : « وهذا الحديث ضعيف جدًا ؛ لأن سفيان بن وكيع ضعيف ، وإبراهيم بن يزيد هو الجوزى أضعف منه أيضًا ، وقد روى عن الحسن وقتادة مرسلاً عن كل منهما، وهذه المرسلات هاهنا لا تقبل من قبل المرسل من حيث هو فى غير هذا الموطن والله أعلم » .

(٣) ابن جرير ١٢/ ١٣٢ . (٤) أحمد فى الزهد (٤١٧) وابن جرير ١٢/ ١٣٢ .

(٥) ابن جرير ١٢/ ١٣٢ . وسبق التعليق على هذه المرسلات بكلام لابن كثير فى تفسيره فليرجع إليه .

وأخرج ابن أبى شيبة ، وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد ، وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن أنس قال : أوحى إلى يوسف : من استنقذك من القتل حين هم إخوتك أن يقتلوك ؟ قال : أنت يا رب ، قال : فمن استنقذك من الجب إذ ألقوك فيه ؟ قال : أنت يا رب. قال: فمن استنقذك من المرأة إذ همت بك ؟ قال : أنت يا رب ، قال : فمالك نسيتنى، وذكرت آدميا ؟ قال: جزعًا ، وكلمة تكلم بها لسانى ، قال : فوعزتى لأخلدنك فى السجن بضع سنين، فلبث فيه سبع سنين . وقد اختلف السلف فى تقدير مدة لبثه فى السجن على حسب ما قدمنا ذكره . فلم نشتغل ها هنا بذكر من قال بذلك ومن خرجه .

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩) ﴾ .

المراد بالملك هنا : هو الملك الأكبر ، وهو الريان بن الوليد الذى كان العزيز وزيرًا له ، رأى فى نومه لما دنا فرج يوسف عليه السلام أنه خرج من نهر يابس ﴿ **سبع بقرات سمان** ﴾ جمع سمين وسمينة فى إثرهن سبع عجاف أى مهازيل ، وقد أقبلت العجاف على السمان فأكلتهن ، والمعنى : إنى رأيت ، ولكنه عبر بالمضارع لاستحضار الصورة ، وكذلك قوله: ﴿ **يأكلهن** ﴾ عبر بالمضارع للاستحضار ، والعجاف جمع عجفاء ، وقياس جمعه عجف ؛ لأن فعلاء وأفعل لا تجمع على فعال ، ولكنه عدل عن القياس حملاً على سمان ﴿ **سبع سنبلات** ﴾ معطوف على سبع بقرات . والمراد بقوله : ﴿ **خضر** ﴾ أنه قد انعقد حبها ، واليابسات قد أدركت الخضر والتوت عليها حتى غلبتها ، ولعل عدم التعرض لذكر هذا فى النظم القرآنى للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات . ﴿ **يا أيها الملأ** ﴾ خطاب للأشراف من قومه ﴿ **أفتونى فى رؤياى** ﴾ أى أخبرونى بحكم هذه الرؤيا ﴿ **إن كنتم للرؤيا تعبرون** ﴾ أى تعلمون عبارة الرؤيا ، وأصل العبارة مشتقة من عبور النهر فمعنى عبرت النهر : بلغت شاطئه ، فعابر الرؤيا يخبر بما يؤول إليه أمرها . قال الزجاج : اللام فى: ﴿ **للرؤيا** ﴾ للتبيين، أى إن كنتم تعبرون ثم بين فقال: ﴿ **للرؤيا** ﴾ وقيل : هو للتقوية ، وتأخير الفعل العامل فيه لرعاية الفواصل .

وجملة : ﴿ **قالوا أضغاث أحلام** ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدر ، والأضغاث : جمع ضغث . وهو كل مختلط من بقل أو حشيش أو غيرهما ، والمعنى : أخاليط أحلام ، والأحلام : جمع حلم ، وهى الرؤيا الكاذبة التى لا حقيقة لها كما يكون من حديث النفس ووسواس الشيطان ، والإضافة بمعنى من ، وجمعوا الأحلام ولم يكن من الملك إلا رؤيا واحدة مبالغة منهم فى وضعها بالبطلان ، ويجوز أن يكون رأى مع هذه الرؤيا غيرها مما لم يقصه الله علينا ﴿ **وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين** ﴾[1] قال الزجاج : المعنى : بتأويل الأحلام المختلطة ، نفوا عن أنفسهم علم ما لا تأويل له ، لا مطلق العلم بالتأويل . وقيل : إنهم نفوا عن أنفسهم علم التعبير مطلقًا ، ولم يدعوا أنه لا تأويل لهذه الرؤيا . وقيل : إنهم قصدوا محوها من صدر الملك حتى لا يشتغل بها ، ولم يكن ما ذكروه من نفى العلم حقيقة .

﴿ **وقال الذى نجا منهما** ﴾ أى من الغلامين وهو الساقى الذى قال له يوسف : ﴿ **اذكرنى عند ربك** ﴾ ، ﴿ **وادكر بعد أمة** ﴾ بالدال المهملة على قراءة الجمهور ، وهى القراءة الفصيحة ، أى تذكر الساقى يوسف وما شاهده منه من العلم بتعبير الرؤيا ، وقرئ بالمعجمة ، ومعنى ﴿ **بعد أمة** ﴾ : بعد حين ، ومنه : ﴿ **إلى أمة معدودة** ﴾ [هود : ٨] . أى إلى وقت ، قال ابن درستويه [2] : والأمة لا تكون على الحين إلا على حذف مضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه ، كأنه قال والله أعلم : وادكر بعد حين أمة أو بعد زمن أمة والأمة : الجماعة الكثيرة من الناس ، قال الأخفش : هو فى اللفظ واحد وفى المعنى جمع ، وكل جنس من الحيوان أمة . وقرأ ابن عباس وعكرمة : « بعد أَمَهٍ » بفتح الهمزة وتخفيف الميم ، أى بعد نسيان . ومنه قول الشاعر :

أَمِهْتُ وَكُنْتُ لا أَنْسَى حَدِيثًا ... كذاكَ الدَّهْرُ يُودِى بالعقولِ

ويقال : أمه يأمه أمها : إذا نسى . وقرأ الأشهب العقيلى « بعد إمَّةٍ » بكسر الهمزة ، أى بعد نعمة ، وهى نعمة النجاة . ﴿ **أنا أنبئكم بتأويله** ﴾ أى أخبركم به بسؤالى عنه من له علم بتأويله وهو يوسف . ﴿ **فأرسلون** ﴾ خاطب الملك بلفظ التعظيم ، أو خاطبه ومن كان عنده من الملأ ، طلب منهم أن يرسلوه إلى يوسف ليقص عليه رؤيا الملك حتى يخبره بتأويلها فيعود بذلك إلى الملك .

﴿ **يوسف أيها الصديق أفتنا** ﴾ أى يا يوسف ، وفى الكلام حذف ، والتقدير : فأرسلوه إلى يوسف فسار إليه فقال له : ﴿ **يوسف أيها الصديق** ﴾ إلى آخر الكلام ، والمعنى : أخبرنا فى رؤيا من رأى سبع بقرات إلخ ، وترك ذكر ذلك اكتفاء بما هو واثق به من فهم يوسف بأن ذلك رؤيا ، وأن المطلوب منه تعبيرها ﴿ **لعلى أرجع إلى الناس** ﴾ أى إلى الملك ومن عنده من الملأ

---

(١) الأحلام : جمع حُلم ، والحُلْم (بالضم) ما يراه النائم .

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن دُرُستَوَيْه بن المرزبان : من علماء اللغة ، فارسى الأصل ، له تصانيف كثيرة ، توفى سنة ٣٤٧ هـ . الأعلام ٤ / ٧٦ .

﴿**لعلهم يعلمون** ﴾ ما تأتى به من تأويل هذه الرؤيا ، أو يعلمون فضلك ومعرفتك لفن التعبير .

وجملة : ﴿ **قال تزرعون** ﴾ إلخ مستأنفة جواب سؤال مقدر كغيرها مما يرد هذا المورد ﴿**سبع سنين دأبا** ﴾ أى متوالية متتابعة ، وهو مصدر . وقيل : هو حال ، أى دائبين . وقيل : صفة لسبع ، أى دائبة . وحكى أبو حاتم عن يعقوب أنه قرأ « دأبًا » بتحريك الهمزة ، وكذا روى حفص عن عاصم وهما لغتان . قال الفراء : حرك لأن فيه حرفًا من حروف الحلق ، وكذلك كل حرف فتح أوله وسكن ثانيه فتثقيله جائز فى كلمات معروفة ، فعبر يوسف عليه السلام السبع البقرات السمان بسبع سنين فيها خصب ، والعجاف بسبع سنين فيها جدب ، وهكذا عبر السبع السنبلات الخضر ، والسبع السنبلات اليابسات ، واستدل بالسبع السنبلات الخضر على ما ذكره فى التعبير من قوله : ﴿ **فما حصدتم فذروه فى سنبله**﴾ أى ما حصدتم فى كل سنة من السنين المخصبة فذروا ذلك المحصود فى سنبله ولا تفصلوه عنها ؛ لئلا يأكله السوس إلا قليلا مما تأكلون فى هذه السنين المخصبة ، فإنه لابد لكم من فصله عن سنبله وإخراجه عنها . واقتصر على استثناء المأكول دون ما يحتاجون إليه من البذر الذى يبذرونه فى أموالهم ، لأنه قد علم من قوله : ﴿ **تزرعون** ﴾ .

﴿ **ثم يأتى من بعد ذلك** ﴾ أى من بعد السنين المخصبة ﴿ **سبع شداد** ﴾ أى سبع سنين مجدبة يصعب أمرها على الناس ﴿ **يأكلن ما قدمتم لهن** ﴾ من تلك الحبوب المتروكة فى سنابلها، وإسناد الأكل إلى السنين مجاز ، والمعنى : يأكل الناس فيهن ، أو يأكل أهلهن ما قدمتم لهن أى ما ادخرتم لأجلهن ، فهو من باب نهاره صائم ، ومنه قول الشاعر [1] :

نَهَارُكَ يا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ وَلَيْلُكَ نَوْمٌ والرَّدَى لَكَ لازِمُ

﴿ **إلا قليلا مما تحصنون** ﴾ أى مما تحبسون من الحب لتزرعوا به ؛ لأن فى استبقاء البذر تحصين الأقوات . وقال أبو عبيدة : معنى ﴿ **تحصنون** ﴾ : تحرزون . وقيل : تدخرون والمعنى واحد .

قوله : ﴿ **ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون** ﴾ أى من بعد السنين المجدبات ، فالإشارة إليها ، والعام : السنة ﴿ **فيه يغاث الناس** ﴾ من الإغاثة أو الغوث ، والغيث المطر ، وقد غاث الغيث بالأرض ، أى أصابها ، وغاث الله البلاد يغيثها غوثًا: أمطرها، فمعنى ﴿ **يغاث الناس** ﴾ : يمطرون ﴿ **وفيه يعصرون** ﴾ أى يعصرون الأشياء التى تعصر كالعنب والسمسم والزيتون . وقيل : أراد حلب الألبان . وقيل : معنى ﴿ **يعصرون** ﴾ : ينجون، مأخوذ من العصرة وهى المنجاة ، قال أبو عبيدة : والعصر بالتحريك : الملجأ والمنجاة ، ومنه قول الشاعر :

---

(١) هو عبد الله بن عبد الأعلى بن أبى عمرة .

صادِيًا يَستغِيثُ غَير مُغاث وَلَقْد كَانَ عُصْرَةَ المَنْجودِ

واعتصرت بفلان : التجأت به، وقرأ حمزة والكسائى: « تعصرون » بتاء الخطاب ، وقرئ: « يعصرون » بضم حرف المضارعة وفتح الصاد ، ومعناه يمطرون ، ومنه قوله تعالى : ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ﴾ [النبأ : ١٤] .

وقد أخرج ابن إسحاق وابن أبى حاتم عن مجاهد قال : قال يوسف للساقى : اذكرنى عند ربك ، أى الملك الأعظم ، ومظلمتى وحبسى فى غير شىء ، فقال : أفعل ، فلما خرج الساقى رد على ما كان عليه ، ورضى عنه صاحبه ، وأنساه الشيطان ذكر الملك الذى أمره يوسف أن يذكره له ، فلبث يوسف بعد ذلك فى السجن بضع سنين . ثم إن الملك ريان بن الوليد رأى رؤياه التى أرى فيها فهالته ، وعرف أنها رؤيا واقعة ، ولم يدر ما تأويلها ، فقال للملأ حوله من أهل مملكته : ﴿ **إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات** ﴾ فلما سمع من الملك ما سمع منه ومسألته عن تأويلها ، ذكر يوسف ما كان عبَّر له ولصاحبه، وما جاء من ذلك على ما قال ، فقال : أنا أنبئكم بتأويله . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **أضغاث أحلام** ﴾ يقول : مشتبهة . وأخرج أبو يعلى وابن جرير عنه قال : من الأحلام الكاذبة . وأخرج ابن جرير عن الضحاك مثله .

وأخرج عبد الرزاق والفريابى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ من طرق عن ابن عباس فى قوله : ﴿**وادكر بعد أمة** ﴾ قال : بعد حين . وأخرج ابن جرير عن مجاهد والحسن وعكرمة وعبد الله بن كثير والسدى مثله . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : بعد سنين . وأخرج اس أبى حاتم عن الحسن قال : بعد أمة من الناس .

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة فى قوله : ﴿**أفتنا فى سبع بقرات** ﴾ الآية قال : أما السمان فسنون فيها خصب ، وأما العجاف فسنون مجدبة ، وسبع سنبلات خضر هى السنون المخاصيب ، تخرج الأرض نباتها وزرعها وثمارها ، وأخر يابسات : المحول الجُدُوب لا تنبت شيئًا . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن عكرمة قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره ، والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترطت عليهم أن يخرجونى ، ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول ، ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ، ولكنه أراد أن يكون له العذر » [1] . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **إلا قليلاً مما تحصنون** ﴾ يقول :

(١) ابن جرير ١٢ / ١٣٩ .

تخزنون . وفى قوله : ﴿ **وفيه يعصرون** ﴾ يقول : الأعناب والدهن . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه فى قولـه : ﴿ **فيه يغاث الناس** ﴾ يقول : يصيبهم فيه غيث . ﴿ **وفيه يعصرون** ﴾ يقول : يعصرون فيه العنب ، ويعصرون فيه الزبيب ، ويعصرون من كل الثمرات . وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عنه أيضا ﴿ **وفيه يعصرون** ﴾ قال : يحتلبون . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عنه أيضًا ﴿ **ثم يأتى من بعد ذلك عام** ﴾ قال : أخبرهم بشىء لم يسألوه عنه كأن الله قد علمه إياه ، فيه يغاث الناس بالمطر وفيه يعصرون السمسم دهنًا ، والعنب خمرًا والزيتون زيتًا .

﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧)** ﴾ .

قوله : ﴿ **وقال الملك ائتونى به** ﴾ فى الكلام حذف قبل هذا ، والتقدير : فذهب الرسول إلى الملك فأخبره بما أخبره به يوسف من تعبير تلك الرؤيا ، وقال الملك لمن بحضرته : ﴿ **ائتونى به** ﴾ أى بيوسف ، رغب إلى رؤيته ومعرفة حاله ، بعد أن علم من فضله ما علمه ، من وصف الرسول له ، ومن تعبيره لرؤياه . ﴿ **فلما جاءه** ﴾ أى جاء إلى يوسف ﴿ **الرسول** ﴾ واستدعاه إلى حضرة الملك ، وأمره بالخروج من السجن ﴿ **قال** ﴾ يوسف للرسول : ﴿ **ارجع إلى ربك** ﴾ أى سيدك ﴿ **فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن** ﴾ أمره بأن يسأل الملك عن ذلك ، وتوقف عن الخروج من السجن ، ولم يسارع إلى إجابة الملك ، ليظهر للناس براءة ساحته ونزاهة جانبه ، وأنه ظلم بكيد امرأة العزيز ظلمًا بينًا ، ولقد أعطى عليه السلام من الحلم والصبر والأناة ما تضيق الأذهان عن تصوره ، ولهذا ثبت فى الصحيح من قوله ﷺ : « ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى » [1] يعنى الرسول الذى جاء يدعوه إلى الملك . قال ابن عطية :

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٦٩٤) ، ومسلم فى الإيمان (١٥١ / ٢٣٨) .

هذا الفعل من يوسف أناة وصبرًا ، وطلبًا لبراءة ساحته ، وذلك أنه خشى أن يخرج وينال من الملك مرتبة ، ويسكت عن أمر ذنبه فيراه الناس بتلك العين يقولون : هذا الذى راود امرأة العزيز. وإنما قال : ﴿ **فاسأله ما بال النسوة** ﴾ وسكت عن امرأة العزيز رعاية لزمام الملك العزيز، أو خوفًا منه من كيدها وعظيم شرها ، وذكر السؤال عن تقطيع الأيدى ولم يذكر مراودتهن له تنزهًا عن نسبة ذلك إليهن ؛ ولذلك لم ينسب المراودة فيما تقدم إلى امرأة العزيز إلا بعد أن رمته بدائها وانسلت ، وقد اكتفى هنا بالإشارة الإجمالية بقوله : ﴿ **إن ربى بكيدهن عليم** ﴾ فجعل علم الله سبحانه بما وقع عليه من الكيد منهن مغنيًا عن التصريح .

وجملة : ﴿ **قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه** ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدر ، كأنه قيل : فماذا قال الملك بعد أن أبلغه الرسول ما قال يوسف ؟ والخطب : الشأن العظيم الذى يحق له أن يخاطب فيه صاحبه خاصة ، والمعنى : ما شأنكن إذ راودتن يوسف عن نفسه ؟ وقد تقدم معنى المراودة ، وإنما نسب إليهن المراودة ، لأن كل واحدة منهن وقع منها ذلك كما تقدم ، ومن جملة ما شمله خطاب الملك امرأة العزيز أو أراد بنسبة ذلك إليهن وقوعه منهن فى الجملة كما كان من امرأة العزيز تحاشيًا عن التصريح منه بنسبة ذلك إليها لكونها امرأة وزيره وهو العزيز، فأجبن عليه بقولهن : ﴿ **قلن حاش لله** ﴾ أى معاذ الله ﴿ **ما علمنا عليه من سوء** ﴾ أى من أمر سيئ ينسب إليه فعند ذلك ﴿ **قالت امرأة العزيز** ﴾ منزهة لجانبه مقرة على نفسها بالمراودة له ﴿**الآن حصحص الحق** ﴾ أى تبين وظهر، وأصله : حص ، فقيل : حصحص كما قيل فى كبو: ﴿ فكبكبوا ﴾ [الشعراء : ٩٤] قاله الزجاج ، وأصل الحص : استئصال الشىء ، يقال : حصَّ شعره ، إذا استأصله ، ومنه قول أبى قيس بن الأسلت :

قد حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رأسِى فَمَا أطْعَمُ نَومًا غيرَ تَهْجَاعِ

والمعنى : أنه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه ، ومنه :

فَمَنْ مُبْلِغٌ عنى خِدَاشًا فإنَّه كَذَوبٌ إذا مَا حَصْحَصَ الحقُّ ظَالِمُ

وقيل : هو مشتق من الحِصَّة ، والمعنى : بانت حِصَّة الباطل . قال الخليل : معناه : ظهر الحق بعد خفائه ، ثم أوضحت ذلك بقولها : ﴿ **أنا راودته عن نفسه** ﴾ ولم تقع منه المراودة لى أصلاً ﴿ **وإنه لمن الصادقين** ﴾ فيما قاله من تبرئة نفسه ، ونسبة المراودة إليها ، وأرادت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام .

قوله : ﴿ **ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب** ﴾ : ذهب أكثر المفسرين إلى أن هذا من كلام يوسف عليه السلام . قال الفراء: ولا يبعد وصل كلام إنسان بكلام إنسان آخر ، إذا دلت القرينة الصارفة إلى كل منهما إلى ما يليق به ، والإشارة إلى الحادثة الواقعة منه ، وهى تثبته وتأنيه ، أى فعلت ذلك ليعلم العزيز أنى لم أخنه فى أهله بالغيب ، والمعنى : بظهر الغيب ، والجار

والمجرور فى محل نصب على الحال ، أى وهو غائب عنى ، أو وأنا غائب عنه ، قيل : إنه قال ذلك وهو فى السجن بعد أن أخبره الرسول بما قالته النسوة ، وما قالته امرأة العزيز . وقيل: إنه قال ذلك وقد صار عند الملك والأول أولى ، وذهب الأقلون من المفسرين إلى أن هذا من كلام امرأة العزيز ، والمعنى : ذلك القول الذى قلته فى تنزيهه ، والإقرار على نفسى بالمراودة ليعلم يوسف أنى لم أخنه ؛ فأنسب إليه ما لم يكن منه ، وهو غائب عنى ، أو وأنا غائبة عنه ، والإقرار على نفسى به . ﴿ **وأن الله لا يهدى كيد الخائنين** ﴾ أى لا يثبته ويسدده أولا يهديهم فى كيدهم حتى يوقعوه على وجه يكون له تأثير يثبت به ويدوم ، وإذا كان من قول يوسف ففيه تعريض بامرأة العزيز ، حيث وقع منها الكيد له والخيانة لزوجها . وتعريض بالعزيز حيث ساعدها على حبسه بعد أن علم براءته ونزاهته .

﴿ **وما أبرئ نفسى** ﴾ إن كان من كلام يوسف فهو من باب الهضم للنفس ، وعدم التزكية بها مع أنه قد علم هو وغيره من الناس أنه برىء ، وظهر ذلك ظهور الشمس ، وأقرت به المرأة التى ادعت عليه الباطل ، ونزهته النسوة اللاتى قطعن أيديهن ، وإن كان من كلام امرأة العزيز فهو واقع على الحقيقة ؛ لأنها قد أقرت بالذنب ، واعترفت بالمراودة وبالافتراء على يوسف . وقد قيل : إن هذا من قول العزيز وهو بعيد جدًا ومعناه : وما أبرئ نفسى من سوء الظن بيوسف والمساعدة على حبسه بعد أن علمت ببراءته ﴿ **إن النفس لأمارة بالسوء** ﴾ أى إن هذا الجنس من الأنفس البشرية شأنه الأمر بالسوء لميله إلى الشهوات ، وتأثيرها بالطبع ، وصعوبة قهرها ، وكفها عن ذلك . ﴿ **إلا ما رحم ربى** ﴾ أى إلا من رحم من النفوس فعصمها عن أن تكون أمارة بالسوء ، أو إلا وقت رحمة ربى وعصمته لها ، وقيل : الاستثناء منقطع ، والمعنى : لكن رحمة ربى هى التى تكفها عن أن تكون أمارة بالسوء ، وجملة: ﴿ **إن ربى غفور رحيم** ﴾ تعليل لما قبلها ، أى إن من شأنه كثرة المغفرة لعباده والرحمة لهم .

قوله :﴿ **وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى** ﴾ الملك هو الريان بن الوليد لا العزيز كما تقدم . ومعنى ﴿ **أستخلصه لنفسى** ﴾ : أجعله خالصًا لى دون غيرى وقد كان قبل ذلك خالصًا للعزيز ، والاستخلاص طلب خلوص الشىء من شوائب الشركة ، قال ذلك لما كان يوسف نفيسًا ، وعادة الملوك أن يجعلوا الأشياء النفيسة خالصة لهم دون غيرهم ﴿ **فلما كلمه** ﴾ فى الكلام حذف وتقديره : فأتوه به ، فلما كلمه ، أى فلما كلم الملك يوسف ، ويحتمل أن يكون المعنى : فلما كلم يوسف الملك ، قيل : والأول أولى ؛ لأن مجالس الملوك لا يتكلم فيها ابتداء إلا هم دون من يدخل عليهم. وقيل : الثانى أولى ؛ لقول الملك : ﴿ **قال إنك اليوم لدينا مكين أمين** ﴾ فإن هذا يفيد أنه لما تكلم يوسف فى مقام الملك جاء بما حببه إلى الملك ، وقربه من قلبه ، فقال هذه المقالة، ومعنى ﴿ **مكين** ﴾ : ذو مكانة وأمانة بحيث يتمكن مما يريده من الملك ويأمنه الملك على ما يطلع عليه من أمره ، أو على ما يكله إليه من ذلك . قيل : إنه لما وصل إلى الملك أجلسه على سريره ، وقال له : إنى أحب أن أسمع منك تعبير رؤياى ، فعبرها له

بأكمل بيان وأتم عبارة ، فلما سمع الملك منه ذلك قال له : ﴿ **إنك اليوم لدينا مكين أمين** ﴾ .

فلما سمع يوسف منه ذلك قال : ﴿ **اجعلنى على خزائن الأرض** ﴾ وهى الأمكنة التى تخزن فيها الأموال . طلب يوسف عليه السلام منه ذلك ليتوصل به إلى نشر العدل ، ورفع الظلم ، ويتوسل به إلى دعاء أهل مصر إلى الإيمان بالله ، وترك عبادة الأوثان .

وفيه دليل على أنه يجوز لمن وثق من نفسه إذا دخل فى أمر من أمور السلطان أن يرفع منار الحق ، ويهدم ما أمكنه من الباطل ، وطلب ذلك لنفسه ، ويجوز له أن يصف نفسه بالأوصاف التى لها ، ترغيبا فيما يرومه ، وتنشيطًا لمن يخاطبه من الملوك بإلقاء مقاليد الأمور إليه ، وجعلها منوطة به ، ولكنه يعارض هذا الجواز ما ورد عن نبينا ﷺ من النهى عن طلب الولاية والمنع من تولية من طلبها [1] ، أو حرص عليها . والخزائن جمع خِزَانة . وهى اسم للمكان الذى يخزن فيه الشىء ، والحفيظ : الذى يحفظ الشىء ، أى ﴿ **إنى حفيظ** ﴾ لما جعلته إلىَّ من حفظ الأموال لا أخرجها فى غير مخارجها ، ولا أصرفها فى غير مصارفها ﴿ **عليم** ﴾ بوجوه جمعها وتفريقها ومدخلها ومخرجها .

﴿ **وكذلك مكنا ليوسف** ﴾ أى ومثل ذلك التمكين العجيب مكنا ليوسف فى الأرض ، أى جعلنا له مكانًا ، وهو عبارة عن كمال قدرته ، ونفوذ أمره ونهيه ، حتى صار الملك يصدر عن رأيه ، وصار الناس يعملون على أمره ونهيه ﴿**يتبوأ منها حيث يشاء** ﴾ أى ينزل منها حيث أراد ويتخذه مباءة ، وهو عبارة عن كمال قدرته كما تقدم ، وكأنه يتصرف فى الأرض التى أمرها إلى سلطان مصر ، كما يتصرف الرجل فى منزله ، وقرأ ابن كثير بالنون ، وقد استدل بهذه الآية على أنه يجوز تولى الأعمال من جهة السلطان الجائر ، بل الكافر لمن وثق من نفسه بالقيام بالحق ، وقد قدمنا الكلام على هذا مستوفيا فى قوله سبحانه : ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا** ﴾ [هود : ١١٣] ﴿ **نصيب برحمتنا من نشاء** ﴾ من العباد فنرحمه فى الدنيا بالإحسان إليه ، والإنعام عليه ، وفى الآخرة بإدخاله الجنة وإنجائه من النار ﴿ **ولا نضيع أجر المحسنين**﴾ فى أعمالهم الحسنة التى هى مطلوب الله منهم ، أى لا نضيع ثوابهم فيها ، ومجازاتهم عليها ﴿**ولأجر الآخرة**﴾ أى أجرهم فى الآخرة وأضيف الأجر إلى الآخرة للملابسة ، وأجرهم هو الجزاء الذى يجازيهم الله به فيها ، وهو الجنة التى لا ينفد نعيمها ولا تنقضى مدتها ﴿ **خير للذين آمنوا** ﴾ بالله ﴿ **وكانوا يتقون** ﴾ الوقوع فيما حرمه عليهم ، والمراد بهم : المحسنون المتقدم ذكرهم ، وفيه تنبيه على أن الإحسان المعتد به : هو الإيمان والتقوى .

وقد أخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ما بال النسوة** ﴾ قال : أراد يوسف العذر

---

(١) عن عبد الرحمن بن سمرة : قال لى رسول الله ﷺ : « يا عبد الرحمن ، لا تسأل الإمارة ؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها» . مسلم فى الإمارة (١٦٥٢/ ١٣) .

قبل أن يخرج من السجن: وأخرج الفريابى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ ، والبيهقى فى الشعب عنه قال : لما قالت امرأة العزيز : أنا راودته ، قال يوسف : ﴿ **ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب** ﴾ فغمزه جبريل فقال : ولا حين هممت بها ؟ فقال ﴿ **وما أبرئ نفسى** ﴾ الآية . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا ﴿ **حصحص الحق** ﴾ قال : تبين . وأخرج ابن جرير عن مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد والسدى مثله . وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى حاتم عن حكيم بن حزام فى قوله : ﴿ **ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب** ﴾ فقال له جبريل : ولا حين حللت السراويل ؟ فقال عند ذلك : ﴿ **وما أبرئ نفسى** ﴾ .

وأخرج ابن عبد الحكم فى فتوح مصر من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى** ﴾ قال : فأتاه الرسول فقال : ألق عنك ثياب السجن ، والبس ثيابًا جددًا وقم إلى الملك فدعا له أهل السجن وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة ، فلما أتاه رأى غلامًا حدثًا ، فقال: أيعلم هذا رؤياى ولا يعلمها السحرة والكهنة. وأقعده قدامه وقال : لا تخف وألبسه طوقًا من ذهب وثياب حرير ، وأعطاه دابة مسروجة مزينة كدابة الملك ، وضرب الطبل بمصر : إن يوسف خليفة الملك . وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس قال : قال الملك ليوسف : إنى أحب أن تخالطنى فى كل شىء إلا فى أهلى ، وأنا آنف أن تأكل معى ، فغضب يوسف ، وقال : أنا أحق أن آنف ؛ أنا ابن إبراهيم خليل الله ، وأنا ابن إسحاق ذبيح الله [1] ، وأنا ابن يعقوب نبى الله .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن شيبة بن نعامة الضبى [2] فى قوله : ﴿**اجعلنى على خزائن الأرض**﴾ يقول: على جميع الطعام ﴿**إنى حفيظ**﴾ لما استودعتنى ﴿**عليم**﴾ بسنى المجاعة . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن زيد فى قوله : ﴿ **وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض**﴾ قال: ملكناه فيها يكون فيها حيث يشاء من تلك الدنيا يصنع فيها ما يشاء. وأخرج أبو الشيخ عن زيد بن أسلم ؛ أن يوسف تزوج امرأة العزيز فوجدها بكرًا وكان زوجها عنينًا .

﴿ **وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (٥٨) وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩) فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢) فَلَمَّا**

---

(١) سبق التنبيه على أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام .

(٢) هو شيبة بن نعامة الضبى أبو نعامة : ضعَّفه يحيى بن معين . وقال ابن حبان : « لا يجوز الاحتجاج به » . لسان الميزان ٣/ ١٩٢ وميزان الاعتدال ٢/ ٢٨٦ .

رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦) ﴾ .

قوله : ﴿ **وجاء إخوة يوسف** ﴾ أى جاؤوا إلى مصر من أرض كنعان ليمتاروا [1] لما أصابهم القحط ﴿ **فدخلوا** ﴾ على يوسف ﴿ **فعرفهم** ﴾ لأنه فارقهم رجالاً ﴿ **وهم له منكرون** ﴾ لأنهم فارقوه صبيًا يباع بالدراهم فى أيدى السيارة بعد أن أخرجوه من الجب ، ودخلوا عليه الآن وهو رجل عليه أبهة الملك ، ورونق الرئاسة ، وعنده الخدم والحشم . وقيل : إنهم أنكروه لكونه كان فى تلك الحال على هيئة ملك مصر ، ولبس تاجه وتطوق بطوقه . وقيل : كانوا بعيدًا منه فلم يعرفوه . وقيل غير ذلك .

﴿ **ولما جهزهم بجهازهم** ﴾ المراد به هنا أنه أعطاهم ما طلبوه من الميرة ، وما يصلحون به سفرهم من العدة التى يحتاجها المسافر ، يقال: جهزت القوم تجهيزًا إذا تكلفت لهم جهازًا للسفر. قال الأزهرى: القراء كلهم على فتح الجيم، والكسر لغة جيدة ﴿ **قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم** ﴾ قيل : لابد من كلام ينشأ عنه طلبه لهم بأن يأتوه بأخ لهم من أبيهم، فروى أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم : ما أنتم وما شأنكم فإنى أنكركم فقالوا : نحن قوم من أهل الشام جئنا نمتار ولنا أب شيخ صديق نبى من الأنبياء اسمه يعقوب قال : كم أنتم ؟ قالوا : عشرة ، وقد كنا اثنى عشر فذهب أخ لنا إلى البرية فهلك ، وكان أحبنا إلى أبينا وقد سكن بعده إلى أخ له أصغر منه هو باق لديه ، يتسلى به ، فقال لهم حينئذ : ﴿ **ائتونى بأخ لكم من أبيكم** ﴾ يعنى : أخاه «بنيامين » الذى تقدم ذكره ، وهو أخو يوسف لأبيه وأمه ، فوعدوه بذلك ، فطلب منهم أن يتركوا أحدهم رهينة عنده حتى يأتوه بالأخ الذى طلبه ، فاقترعوا فأصابت القرعة « شمعون » فخلفوه عنده، ثم قال لهم : ﴿ **ألا ترون أنى أوفى الكيل** ﴾ أى أتمه ، وجاء بصيغة الاستقبال مع كونه قال لهم هذه المقالة بعد تجهيزهم للدلالة على أن ذلك عادته المستمرة ، ثم أخبرهم بما يزيدهم وثوقًا به وتصديقًا لقوله ، فقال : ﴿ **وأنا خير المنزلين** ﴾ أى والحال أنى خير المنزلين لمن نزل بى كما فعلته بكم من حسن الضيافة ، وحسن الإنزال . قال الزجاج : قال يوسف : ﴿**وأنا خير المنزلين** ﴾ لأنه حين أنزلهم أحسن ضيافتهم .

---

(١) الميرة : الطعام يمتاره الإنسان ، وقد مار أهله أى أتاهم بالطعام ، ومنه قولهم : « ما عنده خير ولا مير » .

ثم توعدهم إذا لم يأتوه به فقال : ﴿ **فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون** ﴾ أى فلا أبيعكم شيئًا فيما بعد ، وأما فى الحال فقد أوفاهم كيلهم ، ومعنى لا تقربون : لا تدخلون بلادى فضلاً عن أن أحسن إليكم . وقيل : معناه : لا أنزلكم عندى كما أنزلتكم هذه المرة ، ولم يرد أنهم لا يقربون بلاده و﴿ **تقربون** ﴾ مجزوم إما على أن « لا » ناهية أو على أنها نافية وهو معطوف على محل الجزاء داخل فى حكمه كأنه قال : فإن لم تأتونى تحرموا ولا تقربوا.

فلما سمعوا منه ذلك وعدوه بما طلبه منهم ، قالوا: ﴿ **سنراود عنه أباه** ﴾ أى سنطلبه منه ، ونجتهد فى ذلك بما نقدر عليه . وقيل : معنى المراودة هنا : المخادعة منهم لأبيهم والاحتيال عليه حتى ينتزعوه منه ﴿ **وإنا لفاعلون** ﴾ هذه المراودة غير مقصرين فيها . وقيل : معناه : وإنا لقادرون على ذلك ، لا نتعانى به ولا نتعاظمه.

﴿ **وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم** ﴾ قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وعاصم من رواية شعبة وابن عامر : «لفتيته » واختار هذه القراءة أبو حاتم والنحاس وغيرهما ، وقرأ سائر الكوفيين . ﴿ **لفتيانه** ﴾ واختار هذه القراءة أبو عبيد ، وفى مصحف عبد الله بن مسعود كالقراءة الأخيرة قال النحاس : ﴿ **لفتيانه** ﴾ مخالف للسواد الأعظم ، ولا يترك السواد المجمع عليه لهذا الإسناد المنقطع ، وأيضًا : فإن فتية أشبه من « فتيان » ، لأن فتية عند العرب لأقل العدد وأمر القليل بأن يجعلوا البضاعة فى الرحال أشبه ، والجملة مستأنفة جواب سؤال ، كأنه قيل : فما قال يوسف بعد وعدهم له بذلك فأجيب بأنه قال لفتيته . قال الزجاج : الفتية والفتيان فى هذا الموضع : المماليك . وقال الثعلبى : هما لغتان جيدتان ، مثل الصبيان والصبية والمراد بالبضاعة هنا هى التى وصلوا بها من بلادهم ليشتروا بها الطعام ، وكانت نعالاً وأدمًا ، فعل يوسف عليه السلام ذلك تفضلا عليهم . وقيل : فعل ذلك ليرجعوا إليه مرة أخرى لعلمه أنهم لا يقبلون الطعام إلا بثمن . قاله الفراء . وقيل : فعل ذلك ليستعينوا بها على الرجوع إليه لشراء الطعام . وقيل : إنه استقبح أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمن الطعام .

ثم علل يوسف عليه السلام ما أمر به من جعل البضاعة فى رحالهم بقوله : ﴿ **لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم**﴾ فجعل علة جعل البضاعة فى الرحال هى معرفتهم لها إذا انقلبوا إلى أهلهم ، وذلك لأنهم لا يعلمون برد البضاعة إليهم إلا عند تفريغ الأوعية التى جعلوا فيها الطعام، وهم لا يفرغونها إلا عند الوصول إلى أهلهم، ثم علل معرفتهم للبضاعة المردودة إليهم، المجعولة فى رحالهم بقوله : ﴿ **لعلهم يرجعون** ﴾ فإنهم إذا عرفوا ذلك وعلموا أنهم أخذوا الطعام بلا ثمن وأن ما دفعوه عوضًا عنه قد رجع إليهم ، وتفضل به من وصلوا إليه عليهم ؛ نشطوا إلى العود إليه ؛ ولا سيما مع ما هم فيه من الجدب الشديد ، والحاجة إلى الطعام وعدم وجوده لديهم ، فإن ذلك من أعظم ما يدعوهم إلى الرجوع وبهذا يظهر أن يوسف عليه السلام لم يرد البضاعة إليهم إلا لهذا المقصد ، وهو رجوعهم إليه ، فلا يتم تعليل ردها بغير ذلك ،

والرحال : جمع رحل ، والمراد به هنا : ما يستصحبه الرجل معه من الأثاث . قال الواحدى : الرحل كل شيء معد للرحيل من وعاء للمتاع ، ومركب للبعير ، ومجلس ورسن انتهى . والمراد هنا: الأوعية التى يجعلون فيها ما يمتارونه من الطعام . قال ابن الأنبارى : يقال للوعاء : رحل، وللبيت : رحل .

﴿ **فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل** ﴾ أرادوا بهذا ما تقدم من قول يوسف لهم : ﴿ **فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى** ﴾ أى منع منا الكيل فى المستقبل وفيه دلالة على أن الامتيار مرة بعد مرة معهود فيما بينهم وبينه ، ولعلهم قالوا له بهذه المقالة قبل أن يفتحوا متاعهم ويعلموا برد بضاعتهم كما يفيد ذلك قوله فيما بعد : ﴿ **ولما فتحوا متاعهم** ﴾ إلى آخره ثم ذكروا له ما أمرهم به يوسف ، فقالوا: ﴿ **فأرسل معنا أخانا** ﴾ يعنون بنيامين ، و ﴿ **نكتل** ﴾ جواب الأمر ، أى نكتل بسبب إرساله معنا ما نريده من الطعام . قرأ أهل الحرمين وأبو عمرو وابن عامر وعاصم : ﴿ **نكتل** ﴾ بالنون ، وقرأ سائر الكوفيين بالياء التحتية ، واختار أبو عبيد القراءة الأولى. قال : ليكونوا [1] كلهم داخلين فيمن يكتال ، وزعم أنه إذا كان بالياء كان للأخ وحده ، أى يكتال أخونا بنيامين ، واعترضه النحاس مما حاصله : أن إسناد الكيل إلى الأخ لا ينافى كونه للجميع ، والمعنى : يكتال بنيامين لنا جميعًا . قال الزجاج : أى إن أرسلته اكتلنا وإلا منعنا الكيل ﴿ **وإنا له** ﴾ أى لأخيهم بنيامين ﴿ **لحافظون** ﴾ من أن يصيبه سوء أو مكروه .

وجملة : ﴿ **قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل** ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدر كما تقدم فى نظائر ذلك فى مواضع كثيرة ، والمعنى : أنه لا يأمنهم على بنيامين إلا كما أمنهم على أخيه يوسف ، وقد قالوا له فى يوسف: ﴿ **وإنا له لحافظون** ﴾ كما قالوا هنا : ﴿**وإنا له لحافظون** ﴾ ثم خانوه فى يوسف فهو إن أمنهم فى بنيامين خاف أن يخونوه فيه كما خانوه فى يوسف ﴿ **فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين** ﴾ لعل هنا إضمارًا والتقدير ؛ فتوكل يعقوب على الله ودفعه إليهم ، وقال : ﴿ **فالله خير حافظًا** ﴾ قرأ أهل المدينة : « حفظًا » وهو منتصب على التمييز . وهى قراءة أبى عمرو وعاصم وابن عامر، وقرأ سائر الكوفيين : ﴿ **حافظًا** ﴾ وهو منتصب على الحال . وقال الزجاج : على البيان يعنى التمييز ، ومعنى الآية : أن حفظ الله إياه خير من حفظهم له ، لما وكل يعقوب حفظه إلى الله سبحانه حفظه وأرجعه إليه ، ولما قال فى يوسف : ﴿ **وأخاف أن يأكله الذئب** ﴾ وقع له من الامتحان ما وقع .

﴿ **ولما فتحوا متاعهم** ﴾ أى أوعية الطعام أو ما هو أعم من ذلك مما يطلق عليه لفظ المتاع سواء كان الذى فيه طعامًا أو غير طعام ﴿ **وجدوا بضاعتهم ردت إليهم** ﴾ أى البضاعة التى حملوها إلى مصر ليمتاروا بها ، وقد تقدم بيانها . وجملة : ﴿ **قالوا يا أبانا** ﴾ مستأنفة كما تقدم

---

(١) فى المطبوعة : « ليكونون » والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .

﴿ **ما نبغى** ﴾ : « ما » استفهامية ، والمعنى : أى شىء نطلب من هذا الملك بعد أن صنع معنا ما صنع من الإحسان برد البضاعة والإكرام عند القدوم إليه ، وتوفير ما أردناه من الميرة ؟ ويكون الاستفهام للإنكار ، وجملة : ﴿ **هذه بضاعتنا ردت إلينا** ﴾ مقررة لما دل عليه الاستفهام من الإنكار لطلب شىء مع كونها قد ردت إليهم . وقيل : إن « ما » فى﴿ **ما نبغى**﴾ نافية ، أى ما نبغى فى القول ، وما نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك إلينا وإكرامه لنا ، ثم برهنوا على ما لقوه من التزيد فى وصف الملك بقولهم : ﴿ **هذه بضاعتنا ردت إلينا** ﴾ فإن من تفضل عليهم برد ذلك حقيق بالثناء عليه منهم ، مستحق لما وصفوه به .

ومعنى ﴿ **ونمير أهلنا** ﴾ : نجلب إليهم الميرة وهى الطعام ، والمائر الذى يأتى بالطعام . وقرأ السلمى بضم النون ، وهو معطوف على مقدر يدل عليه السياق ، والتقدير : هذه بضاعتنا ردت إلينا فنحن نستعين بها على الرجوع ، ونمير أهلنا . ﴿**ونحفظ أخانا** ﴾ بنيامين مما تخافه عليه ﴿**ونزداد** ﴾ بسبب إرساله معنا ﴿ **كيل بعير**﴾ أى حمل بعير زائد على ما جئنا به هذه المرة ، لأنه كان يكال لكل رجل وقر بعير ومعنى ﴿ **ذلك كيل يسير** ﴾ أن زيادة كيل بعير لأخينا يسهل على الملك ، ولا يمتنع علينا من زيادته له لكونه يسيرًا لا يتعاظمه ولا يضايقنا فيه . وقيل : إن المعنى : ذلك المكيل لأجلنا قليل ، نريد أن ينضاف إليه حمل بعير لأخينا ، واختار الزجاج الأول . وقيل : إن هذا من كلام يعقوب جوابًا على ما قاله أولاده ﴿ **ونزداد كيل بعير** ﴾ يعنى : إن حمل بعير شىء يسير لا يخاطر لأجله بالولد ، وهو ضعيف ؛ لأن جواب يعقوب هو ﴿ **قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقًا من الله** ﴾ أى حتى تعطونى ما أثق به ، وأركن إليه من جهة الله سبحانه ، وهو الحلف به واللام فى : ﴿ **لتأتننى به** ﴾ جواب القسم ؛ لأن معنى ﴿ **حتى تؤتون موثقًا من الله** ﴾ : حتى تحلفوا بالله لتأتننى به ، أى لتردن بنيامين إلى .

والاستثناء بقوله : ﴿ **إلا أن يحاط بكم** ﴾ هو من أعم العام ؛ لأن ﴿ **لتأتننى به** ﴾ وإن كان كلامًا مثبتا فهو فى معنى النفى ، فكأنه قال : لا تمنعون من إتيانى به فى حال من الأحوال لعلة من العلل إلا لعلة الإحاطة بكم ، والإحاطة مأخوذة من إحاطة العدو ، ومن أحاط به العدو فقد غلب أو هلك . فأخذ يعقوب عليهم العهد بأن يأتوه ببنيامين إلا أن تغلبوا عليه أو تهلكوا دونه فيكون ذلك عذرًا لكم عندى ﴿ **فلما آتوه موثقهم** ﴾ أى أعطوه ما طلبه منهم من اليمين ﴿ **قال الله على ما نقول وكيل** ﴾ [1] أى . قال يعقوب : الله على ما قلناه من طلبى الموثق منكم وإعطائكم لى ما طلبته منكم مطلع رقيب لا يخفى عليه منه خافية فهو المعاقب لمن خاس فى عهده ، وفجر فى الحلف به أو موكول إليه القيام بما شهد عليه منا .

---

(١) هذه الآية أصل فى جواز الكفالة بالعين والوثيقة بالنفس ، وقد اختلف العلماء فى ذلك ، فقال مالك وجميع أصحابه وأكثر العلماء : « هى جائزة إذا كان المحتمل به مالاً » ، وقد ضعَّف الشافعى الحمالة بالوجه فى المال وله قول كقول مالك . القرطبى ٩ / ٢٢٥

وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس قال : إن إخوة يوسف لما دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون جاء بصواع الملك الذى كان يشرب فيه فوضعه على يده فجعل ينقره ويطن ، وينقره ويطن فقال : إن هذا الجام ليخبرنى عنكم خبراً ، هل كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف ؟ وكان أبوه يحبه دونكم ، وإنكم انطلقتم به فألقيتموه فى الجب ، وأخبرتم أباكم أن الذئب أكله ، وجئتم على قميصه بدم كذب ؟ قال : فجعل بعضهم ينظر إلى بعض ويعجبون . وأخرج أبو الشيخ عن وهيب قال : لما جعل يوسف ينقر الصواع ويخبرهم ، قام إليه بعض إخوته فقال : أنشدك بالله أن لا تكشف لنا عورة . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ائتونى بأخ لكم من أبيكم** ﴾ قال : يعنى بنيامين وهوأخو يوسف لأبيه وأمه . وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وأنا خير المنزلين** ﴾ قال : خير من يضيف بمصر .

وأخرج ابن جرير عن قتادة فى قوله : ﴿ **لفتيانه** ﴾ أى لغلمانه ﴿ **اجعلوا بضاعتهم** ﴾ أى أوراقهم . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة فى قوله : ﴿ **ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا** ﴾ يقولون : ما نبغى وراء هذا ﴿**ونزداد كيل بعير** ﴾ أى حمل بعير . وأخرج أبو عبيد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد ﴿ **ونزداد كيل بعير** ﴾ قال : حمل حمار، قال : وهى لغة . قال أبو عبيد : يعنى هذا أن الحمار يقال له فى بعض اللغات : بعير .

وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد فى قوله: ﴿ **إلا أن يحاط بكم** ﴾ قال : تهلكوا جميعا ؛ وفى قوله : ﴿ **فلما آتوه موثقهم** ﴾ قال : عهدهم . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن قتادة فى قوله : ﴿**إلا أن يحاط بكم** ﴾ قال : إلا أن تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك .

﴿ **وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ**

اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾ .

لما تجهز أولاد يعقوب للمسير إلى مصر خاف عليهم أبوهم أن تصيبهم العين ؛ لكونهم كانوا ذوى جمال ظاهر ، وثياب حسنة ، مع كونهم أولاد رجل واحد ، فنهاهم أن يدخلوا مجتمعين من باب واحد ؛ لأن فى ذلك مظنة لإصابة الأعين لهم ، وأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة ولم يكتف بقوله : ﴿ **لا تدخلوا من باب واحد** ﴾ عن قوله : ﴿ **وادخلوا من أبواب متفرقة** ﴾ لأنهم لو دخلوا من بابين مثلا كانوا قد امتثلوا النهى عن الدخول من باب واحد ، ولكنه لما كان فى الدخول من بابين مثلاً نوع اجتماع يخشى معه أن تصيبهم العين ، أمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة ، قيل : وكانت أبواب مصر أربعة .

وقد أنكر بعض المعتزلة كأبى هاشم [١] ، والبلخى [٢] ، أن للعين تأثيراً ، وقالا : لا يمتنع أن صاحب العين إذا شاهد الشىء وأعجب به كانت المصلحة له فى تكليفه أن يغير الله ذلك الشىء حتى لا يبقى قلب ذلك المكلف معلقًا به ، وليس هذا بمستنكر من هذين وأتباعهما ، فقد صار دفع أدلة الكتاب والسنة بمجرد الاستبعادات العقلية دأبهم وديدنهم ، وأى مانع من إصابة العين بتقدير الله سبحانه لذلك ؟

وقد وردت الأحاديث الصحيحة بأن العين حق [٣] ، وأصيب بها جماعة فى عصر النبوة ، ومنهم رسول الله ﷺ ، وأعجب من إنكار هؤلاء لما وردت به نصوص هذه الشريعة ما يقع من بعضهم من الإزراء على من يعمل بالدليل المخالف لمجرد الاستبعاد العقلى والتنطع فى العبارات كالزمخشرى فى تفسيره ، فإنه فى كثير من المواطن لا يقف على دفع الشرع بالاستبعاد الذى يدعيه على العقل حتى يضم إلى ذلك الوقاحة فى العبارة على وجه يوقع المقصرين فى الأقوال الباطلة ، والمذاهب الزائفة ، وبالجملة فقول هؤلاء مدفوع بالأدلة المتكاثرة وإجماع من يعتد به من هذه الأمة سلفًا وخلفًا وبما هو مشاهد فى الوجود ، فكم من شخص من هذا النوع الإنسانى وغيره من أنواع الحيوان هلك بهذا السبب .

وقد اختلف العلماء فيمن عرف بالإصابة بالعين ، فقال قوم : يمنع من الاتصال بالناس دفعًا لضرره بحبس أو غيره من لزوم بيته . وقيل : ينفى ، وأبعد من قال : إنه يقتل ، إلا إذا كان

---

(١) هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائى ،من كبار المعتزلة عاش ما بين عامى ٢٤٧ ـ ٣٢١ هـ . وفيات الأعيان ١ / ٩٢ .

(٢) أحمد بن سهل أبو زيد البلخى : صاحب التصانيف المشهورة . قال النديم : « كان فاضلاً فى علوم كثيرة». ويقال له : جاحظ زمانه ، وكان يرمى بالإلحاد ، وذكر الفخر الرازى أنه طعن فى عدة أحاديث صحيحة . وقد بالغ أبو حيان التوحيدى فى إطرائه والرفع من قدره . لسان الميزان ١ / ١٩٦ .

(٣) روى أبو هريرة رضى الله عنه : عن النبى ﷺ قال : « العين حق » البخارى فى الطب (٥٧٤٠) .

يتعمد ذلك ، وتتوقف إصابته على اختياره وقصده ، ولم ينزجر عن ذلك ، فإنه إذا قتل كان له حكم القاتل .

ثم قال يعقوب لأولاده : ﴿ **وما أغنى عنكم من الله من شيء** ﴾ أى لا أدفع عنكم ضرراً ، ولا أجلب إليكم نفعًا بتدبيرى هذا ، بل ما قضاه الله عليكم فهو واقع لا محالة . قال الزجاج وابن الأنبارى : لو سبق فى علم الله أن العين تهلكهم مع الاجتماع لكان تفرقهم كاجتماعهم . وقال آخرون : ما كان يغنى عنهم يعقوب شيئًا قط ؛ حيث أصابهم ما أصابهم مع تفرقهم ، من إضافة السرقة إليهم، ثم صرح يعقوب بأنه لا حكم إلا لله سبحانه فقال: ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ لا لغيره ولا يشاركه فيه مشارك فى ذلك ﴿ **عليه توكلت** ﴾ فى كل إيراد وإصدار لا على غيره ، أى اعتمدت ووثقت ﴿ **وعليه** ﴾ لا على غيره ﴿ **فليتوكل المتوكلون** ﴾ على العموم ، ويدخل فيه أولاده دخولاً أوليًا .

﴿ **ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم** ﴾ أى من الأبواب المتفرقة ولم يجتمعوا داخلين من باب واحد وجواب لما ﴿ **ما كان يغنى عنهم** ﴾ ذلك الدخول ﴿ **من الله** ﴾ أى من جهته ﴿ **من شيء** ﴾ من الأشياء مما قدره الله عليهم لأن الحذر لا يدفع القدر ، والاستثناء بقوله : ﴿ **إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها** ﴾ منقطع ، والمعنى : ولكن حاجة فى نفس يعقوب ، وهى شفقته عليهم ، ومحبته لسلامتهم ، قضاها يعقوب ، أى أظهرها لهم ، ووصاهم بها غير معتقد أن للتدبير الذى دبره لهم تأثيراً فى دفع ما قضاه الله عليهم . وقيل : إنه خطر ببال يعقوب أن الملك إذا رآهم مجتمعين مع ما يظهر فيهم من كمال الخلقة ، وسيما الشجاعة أوقع بهم حسدًا وحقدًا أو خوفًا منهم ، فأمرهم بالتفرق لهذه العلة . وقد اختار هذا النحاس وقال : لا معنى للعين ها هنا . وفيه أن هذا لو كان هو السبب لأمرهم بالتفرق ، ولم يخص النهى عن ذلك بالاجتماع عند الدخول من باب واحد ؛ لأن هذا الحسد أو الخوف يحصل باجتماعهم داخل المدينة ، كما يحصل باجتماعهم عند الدخول من باب واحد . وقيل : إن الفاعل فى ﴿ **قضاها** ﴾ ضمير يعود إلى الدخول لا إلى يعقوب، والمعنى: ما كان الدخول يغنى عنهم من جهة الله شيئا، ولكنه قضى ذلك الدخول حاجة فى نفس يعقوب لوقوعه حسب إرادته ﴿ **وإنه لذو علم لما علمناه** ﴾ أى وإن يعقوب لصاحب علم لأجل تعليم الله إياه بما أوحاه الله من أن الحذر لا يدفع القدر ، وأن ما قضاه الله سبحانه فهو كائن لا محالة . ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ بذلك كما ينبغى . وقيل : لا يعلمون أن الحذر مندوب إليه ، وإن كان لا يغنى من القدر شيئًا ، والسياق يدفعه . وقيل : المراد بأكثر الناس : المشركون .

﴿ **ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه** ﴾ أى ضم إليه أخاه بنيامين ، قيل : إنه أمر بإنزال كل اثنين فى منزل فبقى أخوه منفردًا فضمه إليه ﴿ **وقال إنى أنا أخوك** ﴾ يوسف ، قال له ذلك سرًا من دون أن يطلع عليه إخوته ﴿ **فلا تبتئس** ﴾ أى فلا تحزن ﴿ **بما كانوا يعملون** ﴾ أى إخوتك من الأعمال الماضية التى عملوها . وقيل : إنه لم يخبره بأنه يوسف ، بل قال له : إنى أخوك

مكان أخيك يوسف فلا تحزن بما كنت تلقاه منهم من الجفاء حسدًا وبغيًا . وقيل : إنه أخبره بما سيدبره معهم من جعل السقاية فى رحله . فقال : لا أبالى . وقيل : إنه لما أخبر يوسف أخاه بنيامين بأنه أخوه قال : لا تردنى إليهم فقال : قد علمت اغتمام أبينا يعقوب ، فإذا حبستك عندى ازداد غمة ، فأتى بنيامين فقال له يوسف : لا يمكن حبسك عندى إلا بأن أنسبك إلى مالا يجمل بك ، فقال : لا أبالى فدس الصاع فى رحله ، وهو المراد بالسقاية وأصلها المشربة التى يشرب بها ، جعلت صاعًا يكال به. وقيل : كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحب . وقيل : كانت من فضة. وقيل : كانت من ذهب . وقيل : غير ذلك . وقد تقدم تفسير الجهاز والرحل، والمعنى : أنه جعل السقاية التى هى الصواع [1] فى رحل أخيه الذى هو الوعاء الذى يجعل فيه ما يشتريه من الطعام من مصر ﴿ **ثم** ﴾ بعد ذلك ﴿ **أذن مؤذن** ﴾ أى نادى مناد قائلاً : ﴿ **أيتها العير** ﴾ قال الزجاج : معناه : يا أصحاب العير ، وكل ما امتير عليه من الإبل والحمير والبغال فهو عير . وقال : هى قافلة الحمير . وقال أبو عبيدة : العير الإبل المرحولة المركوبة ﴿ **إنكم لسارقون** ﴾ نسبة السرق إليهم على حقيقتها ؛ لأن المنادى غير عالم بما دبره يوسف . وقيل : إن المعنى : إن حالكم حال السارقين كونَ الصواع صار لديكم من غير رضا من الملك .

﴿ **قالوا** ﴾ أى إخوة يوسف ﴿ **وأقبلوا عليهم** ﴾ أى حال كونهم مقبلين على من نادى منهم المنادى من أصحاب الملك ﴿ **ماذا تفقدون** ﴾ أى ما الذى فقدتموه ؟ يقال : فقدت الشىء : إذا عدمته بضياع أو نحوه ، فكأنهم قالوا : ماذا ضاع عليكم ؟ وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة ﴿ **قالوا** ﴾ **فى** جوابهم ﴿ **نفقد صواع الملك** ﴾ قرأ يحيى بن يعمر : « صواغ » بالغين المعجمة ، وقرأ أبو رجاء : « صُوع » بضم الصاد المهملة وسكون الواو بعدها عين مهملة ، وقرأ أبى : « صياع » وقرأ أبو جعفر : « صاع » وبها قرأ أبو هريرة ، وقرأ الجمهور : ﴿ **صواع** ﴾ بالصاد والعين المهملتين ، قال الزجاج : الصواع : هو الصاع بعينه . وهو يذكر ويؤنث ، وهو السقاية ، ومنه قول الشاعر :

نشرب الخمر بالصواع جهارا

﴿ **ولمن جاء به حمل بعير** ﴾ أى قالوا : ولمن جاء بالصواع من جهة نفسه حمل بعير ، والبعير : الجمل ، وفى لغة بعض العرب أنه الحمار . والمراد بالحمل ها هنا : ما يحمله البعير من الطعام ، ثم قال المنادى : ﴿ **وأنا به زعيم** ﴾ أى بحمل البعير الذى جعل لمن جاء بالصواع قبل التفتيش للأوعية ، والزعيم هو الكفيل ، ولعل القائل : ﴿ **نفقد صواع الملك**﴾ هو المنادى ، وإنما نسب القول إلى الجماعة لكونه واحدا منهم ، ثم رجع الكلام إلى نسبة القول إلى المنادى وحده ؛ لأنه القائل بالحقيقة .

---

(١) فى المطبوعة : « التى هو الصواع » والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .

﴿ **قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض** ﴾ التاء بدل من واو القسم عند الجمهور . وقيل : من الباء . وقيل : أصل بنفسها ، ولا تدخل إلا على هذا الاسم الشريف دون سائر أسمائه سبحانه ، وقد دخلت نادرًا على الرب ، وعلى الرحمن ، والكلام على هذا مستوفى فى علم الإعراب ، وجعلوا المقسم عليه هو علم يوسف وأصحابه بنزاهة جانبهم، وطهارة ذيلهم ، عن التلوث بقذر الفساد فى الأرض ، الذى من أعظم أنواعه السرقة . لأنهم قد شاهدوا منهم فى قدومهم عليه المرة الأولى ، وهذه المرة من التعفف والزهد عما هو دون السرقة؛ بمراحل ما يستفاد منه العلم الجازم بأنهم ليسوا بمن يتجارأ على هذا النوع العظيم من أنواع الفساد، ولو لم يكن من ذلك إلا ردهم لبضاعتهم التى وجدوها فى رحالهم ، والمراد بالأرض هنا : أرض مصر . ثم أكدوا هذه الجملة التى أقسموا بالله عليها بقولهم : ﴿ **وما كنا سارقين** ﴾ لزيادة التبرى مما قرفوهم به ، والتنزه عن هذه النقيصة الخسيسة والرذيلة الشنعاء .

﴿ **قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين** ﴾ هذه الجملة مستأنفة كما تقدم غير مرة فى نظائرها . والقائلون : هم أصحاب يوسف ، أو المنادى منهم وحده كما مر ، والضمير فى ﴿ **جزاؤه** ﴾ للصواع على حذف مضاف أى فما جزاء سرقة الصواع عندكم ، أو الضمير للسارق ، أى فما جزاء سارق الصواع عندكم ﴿ **إن كنتم كاذبين** ﴾ فيما تدعونه لأنفسكم من البراءة عن السرقة ، وذلك بأن يوجد الصواع معكم ، فأجاب إخوة يوسف و قالوا : ﴿ **جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه** ﴾ أى جزاء سرقة الصواع ، أو جزاء سارق الصواع ، وجزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية وهى : ﴿ **من وجد فى رحله فهو جزاؤه** ﴾ خبر المبتدأ ، على إقامة الظاهر مقام المضمر فيها والأصل جزاؤه من وجد فى رحله فهو ، فيكون الضمير الثانى عائدًا إلى المبتدأ ، والأول إلى «من » ، ويجوز أن يكون خبر المبتدأ : ﴿ **من وجد فى رحله** ﴾ ، والتقدير : جزاء السرقة للصواع أخذ من وجد فى رحله ، وتكون جملة : ﴿ **فهو جزاؤه** ﴾ لتأكيد الجملة الأولى ، وتقريرها . قال الزجاج : وقوله : ﴿ **فهو جزاؤه** ﴾ زيادة فى البيان أى جزاؤه أخذ السارق فهو جزاؤه لا غير . قال المفسرون : وكان حكم السارق فى آل يعقوب أن يسترق سنة ، فلذلك استفتوهم فى جزائه ﴿ **كذلك نجزى الظالمين** ﴾ أى مثل ذلك الجزاء الكامل نجزى الظالمين لغيرهم من الناس بسرقة أمتعتهم ، وهذه الجملة مؤكدة لما قبلها إذا كانت من كلام إخوة يوسف ، ويجوز أن تكون من كلام أصحاب يوسف ، أى كذلك نحن نجزى الظالمين بالرق [١] .

ثم لما ذكروا جزاء السارق أرادوا أن يفتشوا أمتعتهم حتى يتبين الأمر، فأقبل يوسف على ذلك ، فبدأ بتفتيش ﴿**أوعيتهم**﴾ أى أوعية الإخوة العشرة ﴿ **قبل وعاء أخيه** ﴾ أى قبل تفتيشه لوعاء أخيه بنيامين دفعًا للتهمة ورفعًا لما دبره من الحيلة ﴿**ثم استخرجها**﴾ أى السقاية أو الصواع؛ لأنه يذكر ويؤنث ﴿ **كذلك كدنا ليوسف** ﴾ أى مثل ذلك الكيد العجيب كدنا ليوسف : يعنى علمناه إياه وأوحيناه إليه ، والكيد مبدؤه السعى فى الحيلة والخديعة ، ونهايته إلقاء المخدوع

(١) فى المطبوعة : « بالسرق » والصحيح ما أثبتناه ليستقيم المعنى .

من حيث لا يشعر فى أمر مكروه لا سبيل إلى دفعه ، وهو محمول فى حق الله سبحانه على النهاية لا على البداية ، قال القتيبى : معنى ﴿ **كدنا** ﴾ : دبرنا ، وقال ابن الأنبارى : أردنا ، وفى الآية دليل على جواز التوصل إلى الأغراض الصحيحة بما صورته صورة الحيلة والمكيدة إذا لم يخالف ذلك شرعًا ثابتا .

﴿ **ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك** ﴾ أى ما كان يوسف ليأخذ أخاه بنيامين فى دين الملك، أى ملك مصر ، وفى شريعته التى كان عليها ، بل كان دينه وقضاؤه أن يضرب السارق ويغرم ضعف ما سرقه دون الاستعباد سنة ، كما هو دين يعقوب وشريعته ، وحاصله أن يوسف ما كان يتمكن من إجراء حكم يعقوب على أخيه مع كونه مخالفًا لدين الملك وشريعته، لولا ما كاد الله له ودبره وأراده حتى وجد السبيل إليه ، وهو ما أجراه على ألسن إخوته من قولهم : إن جزاء السارق الاسترقاق ، فكان قولهم هذا هو بمشيئة الله وتدبيره وهو معنى قوله : ﴿ **إلا أن يشاء الله** ﴾ أى إلا حال مشيئته وإذنه بذلك وإرادته له ، وهذه الجملة ، أعنى : ﴿ **ما كان ليأخذ أخاه**﴾ إلخ ، تعليل لما صنعه الله من الكيد ليوسف ، أو تفسير له ﴿ **نرفع درجات من نشاء** ﴾ بضروب العلوم والمعارف والعطايا والكرامات كما رفعنا درجة يوسف بذلك ﴿**وفوق كل ذى علم**﴾ ممن رفعه الله بالعلم ﴿ **عليم** ﴾ أرفع رتبة منهم وأعلى درجة لا يبلغون مداه ، ولا يرتقون شأوه . وقيل : معنى ذلك : أن فوق كل أهل العلم عليم وهو الله سبحانه .

وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد** ﴾ قال : رهب يعقوب عليهم العين . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر عن محمد بن كعب قال : خشى عليهم العين . وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وأبو الشيخ عن النخعى فى قوله : ﴿ **وادخلوا من أبواب متفرقة** ﴾ قال : أحب يعقوب أن يلقى يوسف أخاه فى خلوة .

وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد فى قوله: ﴿ **إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها** ﴾ قال : خيفة العين على بنيه . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة فى قوله : ﴿ **وإنه لذو علم لما علمناه** ﴾ قال : إنه لعامل بما علم ، ومن لا يعمل لا يكون عالمًا . وأخرج هؤلاء عنه فى قوله : ﴿ **آوى إليه أخاه** ﴾ قال : ضمه إليه ، وفى قوله : ﴿ **فلا تبتئس** ﴾ قال : لا تحزن ولا تيأس ، وفى قوله : ﴿ **فلما جهزهم بجهازهم** ﴾ قال : قضى حاجتهم ، وكال لهم طعامهم ، وفى قوله : ﴿ **جعل السقاية** ﴾ قال : هو إناء الملك الذى يشرب منه ﴿ **فى رحل أخيه** ﴾ قال : فى متاع أخيه . وأخرج ابن أبى حاتم وابن الأنبارى فى المصاحف عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **جعل السقاية** ﴾ قال : هو الصواع ، وكل شىء يشرب منه فهو صواع . وأخرج ابن حرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد نحوه .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن زيد نحوه أيضًا . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد فى قوله : ﴿ **أيتها العير** ﴾ قال : كانت العير حميرًا . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه فى قوله: ﴿ **ولمن جاء به حمل بعير** ﴾ قال : حمل حمار طعام وهى لغة . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وأنا به زعيم**﴾ يقول : كفيل. وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والضحاك مثله.

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن الربيع بن أنس فى قوله: ﴿ **ما جئنا لنفسد فى الأرض** ﴾ يقول : ماجئنا لنعصى فى الأرض . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن زيد فى قوله : ﴿ **فما جزاؤه**﴾ قال : عرفوا الحكم فى حكمهم فقالوا : ﴿ **من وجد في رحله فهو جزاؤه** ﴾ وكان الحكم عند الأنبياء يعقوب وبنيه أن يؤخذ السارق بسرقته عبدًا يسترق. وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة فى قوله : ﴿ **فبدأ بأوعيتهم** ﴾ قال : ذكر لنا أنه كان كلما فتح متاع رجل استغفر تأثمًا . مما صنع حتى بقى متاع الغلام ، قال : ما أظن أن هذا أخذ شيئًا قالوا : بلى فاستَبْره .

وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن الضحاك فى قوله : ﴿**كذلك كدنا ليوسف** ﴾ قال: كذلك صنعنا ليوسف ﴿ **ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك** ﴾ يقول: فى سلطان الملك ، قال : كان فى دين ملكهم أنه من سرق أخذت منه السرقة ومثلها معها من ماله فيعطيه المسروق . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك** ﴾ يقول : فى سلطان الملك . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد فى قوله : ﴿ **إلا أن يشاء الله** ﴾ قال : إلا بعلة كادها الله ليوسف فاعتل بها . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عنه فى قوله : ﴿ **نرفع درجات من نشاء** ﴾ قال : يوسف وإخوته أوتوا علمًا فرفعنا يوسف فى العلم فوقهم درجة . وأخرج الفريابى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال : كنا عند ابن عباس فحدث بحديث ، فقال رجل عنده : ﴿ **وفوق كل ذى علم عليم** ﴾ فقال ابن عباس : بئس ما قلت . الله العليم الخبير وهو فوق كل عالم . وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب قال : سأل رجل عليا عن مسألة ، فقال فيها ، فقال الرجل: ليس هكذا ولكن كذا وكذا قال على : أصبت وأخطأت ﴿ **وفوق كل ذى علم عليم** ﴾ . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن عكرمة فى قوله : ﴿ **وفوق كل ذى علم عليم**﴾ قال : علم الله فوق كل علم .

﴿ **قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا**

مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذاً لَّظَالِمُونَ (٧٩) فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) ﴾ .

قوله : ﴿ **قالوا إن يسرق** ﴾ أى بنيامين ﴿ **فقد سرق أخ له من قبل** ﴾ يعنون يوسف . وقد اختلف المفسرون فى هذه السرقة التى نسبوها إلى يوسف ما هى ؟ فقيل : إنه كان ليوسف عمة هى أكبر من يعقوب وكانت عندها منطقة إسحاق لكونها أسن أولاده وكانوا يتوارثونها فيأخذها الأكبر سنًا ، من ذكر أو أنثى ، وكانت قد حضنت يوسف وأحبته حبًا شديدًا ، فلما ترعرع قال لها يعقوب : سلمى يوسف إلىَّ فأشفقت من فراقه ، واحتالت فى بقائه لديها ، فجعلت المنطقة تحت ثيابه وحزمته بها ، ثم قالت : قد سرقت منطقة إسحاق فانظروا من سرقها ، فبحثوا عنها فوجدوها مع يوسف فأخذته عندها كما هو شرع الأنبياء فى ذلك الوقت من آل إبراهيم وقد سبق بيان شريعتهم فى السرقة . وقيل : إن يوسف أخذ صنمًا كان لجده ـ أبى أمه ـ فكسره وألقاه على الطريق تغييرًا للمنكر . وحكى عن الزجاج أنه كان صنمًا من ذهب . وحكى الواحدى عن الزجاج أنه قال : الله أعلم ، أسرق أخ له أم لا ؟ وحكى القرطبى فى تفسيره عن الزجاج أنه قال كذبوا عليه فيما نسبوه إليه ، قلت : وهذا أولى ، فما هذه الكذبة بأول كذباتهم ، وقد قدمنا ما يدفع قول من قال : إنهم قد كانوا أنبياء عند صدور هذه الأمور منهم .

قوله : ﴿ **فأسرها يوسف فى نفسه** ﴾ قال الزجاج وغيره : الضمير فى أسرها يعود إلى الكلمة أو الجملة كأنه قيل : فأسر الجملة فى نفسه ﴿ **ولم يبدها لهم** ﴾ ثم فسرها بقوله : ﴿ **قال أنتم شر مكانًا** ﴾ وقد رد أبو على الفارسى هذا فقال : إن هذا النوع من الإضمار على شريطة التفسير غير مستعمل . وقيل : الضمير عائد إلى الإجابة ، أى أسر يوسف إجابتهم فى ذلك الوقت إلى وقت آخر ، وقيل : أسر فى نفسه قولهم : ﴿ **إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل** ﴾ وهذا هو الأولى ، ويكون معنى ﴿ **ولم يبدها لهم** ﴾ : أنه لم يبد لهم هذه المقالة التى أسرها فى نفسه بأن يذكر لهم صحتها ، أو بطلانها ، وجملة : ﴿ **قال أنتم شر مكانًا** ﴾ مفسرة على القول الأول ، ومستأنفة على القولين الآخرين ، كأنه قيل : فماذا قال يوسف لما قالوا هذه المقالة ؟ أى ﴿ **أنتم شر مكانًا** ﴾ أى موضعًا ومنزلاً ممن نسبتموه إلى السرقة وهو برىء ؛ فإنكم قد فعلتم ما فعلتم من إلقاء يوسف إلى الجب ، والكذب على أبيكم وغير ذلك من أفاعيلكم ثم قال :

﴿**والله أعلم بما تصفون** ﴾ من الباطل بنسبة السرقة [١] إلى يوسف ، وأنه لا حقيقة لذلك .

ثم أرادوا أن يستعطفوه ليطلق لهم أخاهم بنيامين يكون معهم يرجعون به إلى أبيهم لما تقدم من أخذه الميثاق عليهم بأن يردوه إليه فقالوا : ﴿ **يا أيها العزيز إن له أبا شيخًا كبيرًا** ﴾ أى إن لبنيامين هذا أبا متصفًا بهذه الصفة ، وهى كونه شيخا كبيرًا لا يستطيع فراقه ، ولا يصبر عنه ، ولا يقدر على الوصول إليه ﴿ **فخذ أحدنا مكانه** ﴾ يبقى لديك . فإن **له** منزلة فى قلب أبيه ليست لواحد منا فلا يتضرر بفراق أحدنا كما يتضرر بفراق بنيامين ، ثم عللوا ذلك بقوله : ﴿ **إنا نراك من المحسنين** ﴾ إلى الناس كافة وإلينا خاصة ، فنعم إحسانك إلينا بإجابتنا إلى هذا المطلب، فأجاب يوسف عليهم بقوله : ﴿**معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده** ﴾ أى نعوذ بالله معاذًا . فهو مصدر منصوب بفعل محذوف ، والمستعيذ بالله هو المعتصم به ، وأن نأخذ منصوب بنزع الخافض ، والأصل من أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ، وهو بنيامين لأنه الذى وجد الصواع فى رحله فقد حل لنا استعباده بفتواكم التى أفتيتموها بقولكم : ﴿ **جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه** ﴾ ﴿ **إنا إذا لظالمون** ﴾ أى إنا إذا أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده لظالمون فى دينكم وما تقتضيه فتواكم .

﴿ **فلما استيأسوا منه** ﴾ أى يئسوا من يوسف وإسعافهم منه إلى مطلبهم الذى طلبوه ، والسين والتاء للمبالغة ﴿ **خلصوا نجيا** ﴾ أى انفردوا حال كونهم متناجين فيما بينهم ، وهو مصدر يقع على الواحد والجمع كما فى قوله : ﴿ **وقربناه نجيا** ﴾ [مريم : ٥٢] قال الزجاج : معناه : انفردوا وليس معهم أخوهم متناجين فيما يعملون به فى ذهابهم إلى أبيهم من غير أخيهم ﴿ **قال كبيرهم** ﴾ قيل: هو « روبيل » لأنه الأسن. وقيل : « يهوذا » لأنه الأوفر عقلاً . وقيل: «شمعون » لأنه رئيسهم ﴿ **ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من الله** ﴾ أى عهدًا من الله فى حفظ ابنه ورده إليه، ومعنى كونه من الله أنه بإذنه ﴿**ومن قبل ما فرطتم فى يوسف**﴾ معطوف على ما قبله والتقدير ألم تعلموا أن أباكم وتعلموا تفريطكم فى يوسف ذكر هذا النحاس وغيره، و﴿ **من قبل** ﴾ متعلقة بـ ﴿ **تعلموا** ﴾، أى وتعلموا تفريطكم فى يوسف من قبل، على أن «ما» مصدرية، ويجوز أن تكون زائدة. وقيل: ﴿**ما فرطتم**﴾ مرفوع المحل على الابتداء وخبره ﴿**من قبل**﴾ وقيل : إن « ما » موصولة ، أو موصوفة ، وكلاهما فى محل النصب أو الرفع، وما ذكرناه هو الأولى، ومعنى ﴿**فرطتم**﴾ : قصرتم فى شأنه ولم تحفظوا عهد أبيكم فيه. ﴿ **فلن أبرح الأرض** ﴾ يقال: برح براحًا وبروحا : أى زال، فإذا دخله النفى صار مثبتا، أى لن أبرح من الأرض بل ألزمها ولا أزال مقيمًا فيها ﴿ **حتى يأذن لى أبى** ﴾ فى مفارقتها والخروج منها وإنما قال ذلك لأنه يستحى من أبيه أن يأتى إليه بغير ولده الذى أخذ عليهم الموثق بإرجاعه إليه إلا أن يحاط بهم كما تقدم ﴿ **أو يحكم الله لى** ﴾ بمفارقتها والخروج منها. وقيل: المعنى: أو يحكم الله

---

(١) فى المطبوعة : « السراق » والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .

لى بخلاص أخى من الأسر حتى يعود إلى أبى أعود معه . وقيل : المعنى : أو يحكم الله لى بالنصر على من أخذ أخى فأحاربه وآخذ أخى منه ، أو أعجز فأنصرف بعد ذلك ﴿ **وهو خير الحاكمين** ﴾ لأن أحكامه لا تجرى إلا على ما يوافق الحق ، ويطابق الصواب .

ثم قال كبيرهم مخاطبًا لهم : ﴿ **ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق** ﴾: قرأ الجمهور: ﴿ **سرق** ﴾ على البناء للفاعل ، وذلك لأنهم قد شاهدوا استخراج الصواع من وعائه ، وقرأ ابن عباس والضحاك وأبو رزين على البناء للمفعول، وروى ذلك النحاس عن الكسائى. قال الزجاج: إن سرق يحتمل معنيين: أحدهما علم منه السرق ، والآخر اتهم بالسرق ﴿ **وما شهدنا إلا بما علمنا** ﴾ من استخراج الصواع من وعائه وقيل: المعنى: ما شهدنا عند يوسف بأن السارق يسترق إلا بما علمنا من شريعتك وشريعة آبائك ﴿ **وما كنا للغيب حافظين** ﴾ حتى يتضح لنا هل الأمر على ما شهدناه أو على خلافه ؟ وقيل: المعنى: ما كنا وقت أخذنا له منك ليخرج[1] معنا إلى مصر للغيب حافظين بأنه سيقع منه السرق الذى افتضحنا به . وقيل : الغيب هو: الليل، ومرادهم أنه سرق وهم نيام. وقيل: مرادهم أنه فعل ذلك وهو غائب عنهم، فخفى عليهم فعله.

﴿**واسأل القرية التى كنا فيها**﴾ هذا من تمام قول كبيرهم لهم أى قولوا لأبيكم: اسأل القرية التى كنا فيها أى مصر، والمراد أهلها ، أى اسأل أهل القرية . وقيل : هى قرية من قرى مصر نزلوا فيها واستاروا منها . وقيل : المعنى : واسأل القرية نفسها وإن كانت جمادًا فإنك نبى الله، والله سبحانه سينطقها فتجيبك،ومما يؤيد هذا أنه قال سيبويه: لا يجوز كلم هندًا وأنت تريد غلام هند ﴿**والعير التى أقبلنا فيها**﴾ أى وقولوا لأبيكم: اسأل العير التى أقبلنا فيها أى أصحابها وكانوا قومًا معروفين من جيران يعقوب . ﴿ **وإنا لصادقون** ﴾ فيما قلنا . جاؤوا بهذه الجملة مؤكدة هذا التأكيد؛ لأن ما قد تقدم منهم مع أبيهم يعقوب يوجب كمال الريبة فى خبرهم هذا عند السامع.

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر عن مجاهد فى قوله: ﴿**إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل**﴾ قال : يعنون يوسف. وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس قال : سرق مكحلة لخالته . يعنى : يوسف . وأخرج أبو الشيخ عن عطية قال : سرق فى صباه ميلين من ذهب وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « سرق يوسف صنما لجده ـ أبى أمه ـ من ذهب وفضة فكسره وألقاه على الطريق فعيره بذلك إخوته » . وأخرج ابن جرير ابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير مثله غير مرفوع [2] وقد روى نحوه جماعة من التابعين . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **فأسرها يوسف فى نفسه** ﴾ قال : أسر فى نفسه قوله : ﴿ **أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون** ﴾ وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن قتادة مثله.

---

(١) فى المطبوعة : « ليخرجا » والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .

(٢) ابن جرير ١٣ / ٢١ .

وأخرج ابن جرير عن ابن إسحاق فى قوله : ﴿ **فلما استيأسوا منه** ﴾ قال : أيسوا منه ، ورأوا شدته فى أمره . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن قتادة فى قوله : ﴿**خلصوا نجيًا** ﴾ قال : وحدهم . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد فى قوله : ﴿ **قال كبيرهم** ﴾ قال : « شمعون » الذى تخلف ، أكبرهم عقلاً ، وأكبر منه فى الميلاد « روبيل » . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم و أبو الشيخ عن قتادة قال : كبيرهم هو « روبيل » وهو الذى كان نهاهم عن قتله ، وكان أكبر القوم . وأخرج ابن المنذر عن مجاهد في قوله : ﴿ **أو يحكم الله لى** ﴾ قال : أقاتل بسيفى حتى أقتل . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن أبى صالح نحوه .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة : ﴿ **وما كنا للغيب حافظين** ﴾ قال : ما كنا نعلم أن ابنك يسرق . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة نحوه . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **واسأل القرية** ﴾ قال : يعنون مصر . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة مثله .

﴿ **قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨)** ﴾ .

قوله : ﴿ **قال بل سولت لكم أنفسكم أمرًا** ﴾ أى زينت ، والأمر هنا قولهم : ﴿ **إن ابنك سرق** ﴾ وما سرق فى الحقيقة . وقيل : المراد بالأمر إخراجهم بنيامين والمضى به إلى مصر طلبًا للمنفعة فعاد ذلك بالمضرة . وقيل : التسويل : التخييل ، أى خيلت لكم أنفسكم أمرًا لا أصل له . وقيل : الأمر الذى سولت لهم أنفسهم : فتياهم بأن السارق يؤخذ بسرقته ، والإضراب هنا هو باعتبار ما أثبتوه من البراءة لأنفسهم لا باعتبار أصل الكلام فإنه صحيح . والجملة مستأنفة سبنية على سؤال مقدر كغيرها ، وجملة : ﴿ **فصبر جميل** ﴾ خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف ، أى فأمرى صبر جميل ، أو فصبر جميل أجمل بى ، وأولى لى . والصبر الجميل : هو الذى لا يبوح صاحبه بالشكوى ، بل يُفَوِّضُ أمره إلى الله ويسترجع وقد ورد أن الصبر عند أول الصدمة ﴿ **عسى الله أن يأتينى بهم جميعا** ﴾ أى بيوسف وأخيه

بنيامين، والأخ الثالث الباقى بمصر وهو كبيرهم كما تقدم، وإنما قال هكذا ؛ لأنه قد كان عنده أن يوسف لم يمت ، وأنه باق على الحياة وإن غاب عنه خبره ﴿ **إنه هو العليم** ﴾ بحالى ، ﴿**الحكيم**﴾ فيما يقضى به . ﴿ **وتولى عنهم** ﴾ أى أعرض عنهم ، وقطع الكلام معهم وقال : ﴿ **يا أسفا على يوسف** ﴾ قال الزجاج : الأصل يا أسفى . فأبدل من الياء ألفًا لخفة الفتحة والأسف شدة الجزع . وقيل : شدة الحزن ، ومنه قول كثير :

فَيَا أسَفًا للقَلبِ كَيفَ انصرافُهُ وللنَّفْسِ لَمَّا سلَّيت فَتَسلَّتِ

قال يعقوب هذه المقالة لما بلغ منه الحزن غاية مبلغه بسبب فراقه ليوسف ، وانضمام فراقه لأخيه بنيامين . وبلوغ مابلغه من كونه أسيرًا عند ملك مصر ، فتضاعفت أحزانه ، وهاج عليه الوجد القديم بما أثاره من الخبر الأخير ، وقد روى عن سعيد بن جبير أن يعقوب لم يكن عنده ما ثبت فى شريعتنا من الاسترجاع ، والصبر على المصائب ، ولو كان عنده ذلك لما قال : ﴿**يا أسفا علي يوسف** ﴾ ومعنى المناداة للأسف : طلب حضوره ، كأنه قال . تعال يا أسفى ، وأقبل إلىّ ﴿ **وابيضت عيناه من الحزن** ﴾ أى انقلب سواد عينيه بياضًا من كثرة البكاء ، قيل : إنه زال إدراكه بحاسة البصر بالمرة . وقيل : كان يدرك إدراكًا ضعيفًا . وقد قيل توجيه ما وقع من يعقوب عليه السلام من هذا الحزن العظيم المفضى إلى ذهاب بصره كلاً أو بعضًا بأنه : إنما وقع منه ذلك لأنه علم أن يوسف حى فخاف على دينه مع كونه بأرض مصر وأهلها حينئذ كفار. وقيل : إن مجرد الحزن ليس بمحرم ، وإنما المحرم ما يفضى منه إلى الوله ، وشق الثياب ، والتكلم بما لا ينبغى وقد قال النبى ﷺ عند موت ولده إبراهيم : « تدمع العين ، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزنون » [1] ويؤيد هذا قوله : ﴿ **فهو كظيم**﴾ أى مكظوم ، فإن معناه : أنه مملوء من الحزن ممسك له لا يبثه ، ومنه كظم الغيظ وهو إخفاؤه فالمكظوم المسدود عليه طريق حزنه ، من كظم السقاء إذ سده على ما فيه ، والكظم بفتح الظاء : مخرج النفس يقال : أخذ بأكظامه . وقيل : الكظيم بمعنى الكاظم ، أى المشتمل على حزنه ، الممسك له . ومنه :

فَإنْ أكُ كاظِمًا لُصَابِ نَاسٍ فإنى اليومَ مُنطلِقٌ لسانى

ومنه : ﴿ **والكاظمين الغيظ** ﴾ [آل عمران : ١٣٤] وقال الزجاج : معنى كظيم : محزون ، وروى عن ابن عباس أنه قال : معناه : مغموم مكروب . قال بعض أهل اللغة : الحزن بالضم والسكون : البكاء ، وبفتحتين ضد الفرح ، وقال أكثر أهل اللغة : هما لغتان : ﴿**قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف** ﴾ أى لا تفتؤ ، محذوف حرف النفى لعدم اللبس، قال الكسائى:

---

(١) البخارى فى الجنائز (١٣٠٣) ومسلم فى الفضائل (٢٣١٥ / ٦٢) وأبو داود فى الجنائز (٣١٢٦) وابن ماجه فى الجنائز (١٥٨٩) وفى الزوائد : « إسناده حسن » .

فتأت وفتئت أفعل كذا ، أى ما زلت ، وقال الفراء : إن « لا » مضمرة ، أى لا تفتأ . قال النحاس : والذى قال صحيح ، وقد روى عن الخليل وسيبويه مثل قول الفراء ، وأنشد الفراء محتجًا على ما قاله :

فقلت يمين اللّه أبرح قاعدًا ولو قَطعُوا رأسِى لدَيكِ وأوْصَالِى

ويقال : فتئ ، وفتأ لغتان ، ومنه قول الشاعر (١) :

فما فَتِئَتْ حَتَّى كَأَنَّ غُبَارَهَا سُرَادِقُ يَوْمٍ ذى رياحٍ تُرفَّعُ

﴿ **حتى تكون حرضًا** ﴾ الحرض مصدر يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، والصفة المشبهة . حرض بكسر الراء كدنف ودنف . وأصل الحرض : الفساد فى الجسم أو العقل من الحزن أو العشق أو الهرم ، حكى ذلك عن أبى عبيدة وغيره ، ومنه قول الشاعر :

سَرَى هَمِّىٌ فَأَمْرضَنِى وقدمًا زادنى مَرَضَا
كَذَاكَ الحبُّ قَبْلَ اليو مِ مَمَّ يُورِث الحَرَضَا

وقيل : الحرض ما دون الموت ، وقيل . الحارض : البالى الدائر ، وقال الفراء : الحارض: الفاسد الجسم والعقل وكذا الحرض . وقال مؤرج : هو الذائب من الهم ، ويدل عليه قول الشاعر (٢) :

إِنِّى امرؤٌ لَجَّ بى حُبٌّ فَأَحْرضَنِى حَتَّى بَلِيتُ وَحتّى شَفَّنِى السَّقَم

ويقال : رجل محرض ، ومنه قول الشاعر :

طَلَبْتُهُ الخَيْلُ يَوْمًا كَامِلاً وَلَوَ ألْفَتْهُ لأضْحَى مُحْرَضَا

قال النحاس : وحكى أهل اللغة أحرضه الهم : إذا أسقمه ، ورجل حارض ، أى أحمق . وقال الأخفش: الحارض الذاهب . وقال ابن الأنبارى : هو الهالك ، والأولى تفسير الحرض هنا بغير الموت والهلاك من هذه المعانى المذكورة حتى يكون لقوله : ﴿ **أو تكون من الهالكين** ﴾ معنى غير معنى الحرض، فالتأسيس أولى من التأكيد ومعنى ﴿ **من الهالكين** ﴾: من الميتين. وغرضهم منع يعقوب من البكاء والحزن شفقة عليه وإن كانوا هم سبب أحزانه ومنشأ همومه وغمومه .

﴿ **قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله** ﴾ هذه الجملة مستأنفة كأنه قيل : فما قال يعقوب لما قالوا له ما قالوا ؟ والبث : ما يرد على الإنسان من الأشياء التى يعظم حزن صاحبها بها حتى لا يقدر على إخفائها ، كذا قال أهل اللغة وهو مأخوذ من بثثته ، أى فرقته ، فسميت

---

(١) هو : أوس بن حجر التميمى الجاهلى

(٢) هو العرجى : عبد الله بن عمر بن عمرو . أموى . شاعر غزل . وأديب وفارس سكن قرية العرج قرب الطائف فلقب بالعرجىّ .

المصيبة بثًا مجازًا ، قال ذو الرّمة :

وَقَفْتُ على رَبع لِمَيَّـةَ نافَتـى فَمـا زِلتُ أَبْكى عِنده وَأُخَاطِبُـه
وأسْقيه حتَّى كَـادَ مِمَّـا أَبُثُّـه تُكَلِّمُنـى أَحْجـارُهُ وَمَلاعِبُـه

وقد ذكر المفسرون : أن الإنسان إذا قدر على كتم ما نزل به من المصائب كان ذلك حزنًا ، وإن لم يقدر على كتمه كان ذلك بثًا، فالبث على هذا أعظم الحزن وأصعبه. وقيل: البث: الهم. وقيل : هو الحاجة وعلى هذا القول يكون عطف الحزن على البث واضح المعنى . وأما على تفسير البث بالحزن العظيم ، فكأنه قال : إنما أشكو حزنى العظيم وما دونه من الحزن إلى الله لا إلى غيره من الناس . وقد قرئ : ﴿ **حزنى** ﴾ بضم الحاء وسكون الزاى و « حزنى » بفتحهما ﴿**وأعلم من الله ما لا تعلمون** ﴾ أى أعلم من لطفه وإحسانه وثوابه على المصيبة ما لا تعلمونه أنتم . وقيل : أراد علمه بأن يوسف حى . وقيل : أراد علمه بأن رؤياه صادقة . وقيل : أعلم من إجابة المضطرين إلى الله ما لا تعلمون .

﴿ **يا بنى اذهبوا فتحسَّسُوا من يوسف وأخيه**﴾ التحسس بمهملات : طلب الشيء بالحواس ، مأخوذ من الحس أو من الإحساس ، أى اذهبوا فتعرفوا خبر يوسف وأخيه وتطلبوه . وقرئ بالجيم ، وهو أيضًا التطلب ﴿ **ولا تيأسوا من روح الله** ﴾ أى لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه . قال الأصمعى : الروح ما يجده الإنسان من نسيم الهواء فيسكن إليه ، والتركيب يدل على الحركة والهزة ، فكل ما يهتز الإنسان بوجوده ويلتذ به فهو روح ، وحكى الواحدى عن الأصمعى أيضا أنه قال: الروح : الاستراحة من غم القلب ، وقال أبو عمرو : الروح : الفرج. وقيل : الرحمة ﴿ **إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾ لكونهم لا يعلمون بقدرة الله سبحانه ، وعظيم صنعه ، وخفى ألطافه .

قوله :﴿ **فلما دخلوا عليه** ﴾ أى على يوسف ، وفى الكلام حذف ، والتقدير : فذهبوا كما أمرهم أبوهم إلى مصر ليتحسسوا من يوسف وأخيه ، فلما دخلوا على يوسف ﴿ **قالوا يأيها العزيز** ﴾ أى الملك الممتنع القادر ﴿ **مسنا وأهلنا الضر** ﴾ أى الجوع والحاجة وفيه دليل على أنه تجوز الشكوى عند الضرورة إذا خاف من إصابته على نفسه ، كما يجوز للعليل أن يشكو إلى الطبيب ما يجده من العلة وهذه المرة التى دخلوا فيها مصر هى المرة الثالثة ، كما يفيده ما تقدم من سياق الكتاب العزيز ﴿ **وجئنا ببضاعة مزجاة** ﴾ البضاعة هى القطعة من المال يقصد بها شراء شيء ، يقال : أبضعت الشيء واستبضعته إذا جعلته بضاعة . وفى المثل كمستبضع التمر إلى هجر . والإزجاء : السوق بدفع . قال الواحدى : الإزجاء فى اللغة : السوق والدفع قليلاً قليلا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **ألم تر أن الله يزجى سحابا** ﴾ [النور : ٤٣] والمعنى : أنها بضاعة تدفع ولا يقبلها التجار ، قال ثعلب: البضاعة المزجاة الناقصة غير التامة . قال أبو عبيدة: إنما قيل للدراهم الرديئة: مزجاة لأنها مردودة مدفوعة غير مقبولة .

واختلف فى هذه البضاعة ما هى ؟ فقيل : كانت قديدًا وحيسًا . وقيل : صوف وسمن . وقيل : الحبة الخضراء والصنوبر . وقيل : دراهم رديئة . وقيل : النعال والأدم ، ثم طلبوا منه بعد أن أخبروه بالبضاعة التى معهم أن يوفى لهم الكيل ، أى يجعله تامًا لا نقص فيه، وطلبوا منه أن يتصدق عليهم إما بزيادة يزيدها لهم على ما يقابل بضاعتهم ، أو بالإغماض عن رداءة البضاعة التى جاؤوا بها ، وأن يجعلها كالبضاعة الجيدة فى إيفاء الكيل لهم بها ، وبهذا قال أكثر المفسرين . وقد قيل : كيف يطلبون التصدق عليهم وهم أنبياء ، والصدقة محرمة على الأنبياء ؟ وأجيب : باختصاص ذلك بنبينا محمد ﷺ ﴿ **إن الله يجزى المتصدقين** ﴾ بما يجعله لهم من الثواب الأخروى ، أو التوسيع عليهم فى الدنيا .

وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة فى قوله : ﴿ **عسى الله أن يأتينى بهم جميعا** ﴾ قال : يوسف وأخيه وروبيل . وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج فى الآية قال : يوسف وأخيه وكبيرهم الذى تخلف . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم من طرق عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **يا أسفا على يوسف** ﴾ قال : يا حزنا . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر عن قتادة مثله . وأخرجوا عن مجاهد قال : ياجزعًا .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **فهو كظيم** ﴾ قال : حزين . وأخرج ابن المبارك وعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر ، وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة قال : كظم على الحزن فلم يقل إلا خيرًا . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن عطاء الخراسانى قال : كظيم : مكروب . وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة مثله . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن الضحاك قال : الكظيم : الكمد . وأخرج ابن جرير عن مجاهد نحوه .

وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **تالله تفتؤ تذكر يوسف** ﴾ قال : لا تزال تذكر يوسف ﴿ **حتى تكون حرضًا** ﴾ قال : دنفًا من المرض . ﴿ **أو تكون من الهالكين** ﴾ قال : الميتين . وأخرج هؤلاء عن مجاهد نحوه. وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن قتادة فى قوله: ﴿ **تفتؤ تذكر يوسف** ﴾ قال : لا تزال تذكر يوسف ﴿ **حتى تكون حرضًا** ﴾ قال : هرمًا . ﴿ **أو تكون من الهالكين** ﴾ قال : أو تموت . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن الضحاك : ﴿ **حتى تكون حرضا** ﴾ قال : الحرض : البالى ﴿ **أو تكون من الهالكين** ﴾ قال : من الميتين .

وأخرج ابن جرير وعبد الرزاق عن مسلم بن يسار يرفعه إلى النبى ﷺ قال : « من بث لم يصبر » ثم قرأ ﴿ **إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله** ﴾ [1] وأخرج ابن منده فى المعرفة عن مسلم ابن يسار عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ فذكره . وأخرج ابن مردويه من حديث

(١) ابن جرير ١٣/ ٣٢ .

عبد الله بن عمرو مرفوعًا مثله [١] . وأخرجه ابن المنذر وابن مردويه عن عبد الرحمن بن يعمر مرفوعًا مرسلاً . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **إنما أشكو بثى** ﴾ قال : همى. وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه فى قوله : ﴿ **وأعلم من الله ما لا تعلمون** ﴾ قال : أعلم أن رؤيا يوسف صادقة ، وأنى سأسجد له .

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ فى قوله : ﴿ **ولا تيأسوا من روح الله** ﴾ قال : من رحمة الله . وأخرج ابن جرير عن الضحاك مثله . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن زيد قال : من فرج الله يفرج عنكم الغم الذى أنتم فيه . وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة فى قوله : ﴿ **مسنا وأهلنا الضر** ﴾ قال : أى الضر فى المعيشة. وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ببضاعة** ﴾ قال: دراهم ﴿ **مزجاة** ﴾ قال : كاسدة . وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عنه قال : ﴿ **مزجاة** ﴾ قال : كاسدة . وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عنه قال: ﴿ **مزجاة** ﴾ رثة المتاع، خلقة الحبل والغرارة والشىء . وأخرج أبو عبيد وابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عنه أيضا ﴿ **مزجاة** ﴾ قال : الورق الزيوف التى لا تنفق حتى يوضع منها . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن جرير فى قوله : ﴿ **وتصدق علينا** ﴾ قال : اردد علينا أخانا .

﴿ **قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨)** ﴾ .

الاستفهام في قوله : ﴿ **هل علمتم** ﴾ للتوبيخ والتقريع ، وقد كانوا عالمين بذلك ، ولكنه أراد ما ذكرناه ، ويستفاد منه تعظيم الواقعة لكونه فى قوة : ما أعظم الأمر الذى ارتكبتم من يوسف وأخيه . وما أقبح ما أقدمتم عليه ؟ كما يقال للمذنب: هل تدرى من عصيت ؟ والذى

(١) الحديث رواه البيهقى فى الشعب عن ابن عمر (١٠٠٥٠) . ط . الكتب العلمية .

فعلوا بيوسف هو ما تقدم مما قصه الله سبحانه علينا فى هذه السورة ، وأما ما فعلوا بأخيه ، فقال جماعة من المفسرين : هو ما أدخلوه عليه من الغم بفراق أخيه يوسف ، وما كان يناله منهم من الاحتقار والإهانة . ولم يستفهمهم عما فعلوا بأبيهم يعقوب ، مع أنه قد ناله منهم ما قصه الله فيما سبق من صنوف الأذى . قال الواحدى : ولم يذكر أباه يعقوب مع عظم ما دخل عليه من الغم بفراقه تعظيما له ، ورفعًا من قدره ، وعلمًا بأنه ذلك كان بلاء له من الله عز وجل ليزيد فى درجته عنده ، ﴿ **إذ أنتم جاهلون** ﴾ نفى عنهم العلم ، وأثبت لهم صفة الجهل ، لأنهم لم يعملوا بما يقتضيه العلم . وقيل : إنه أثبت لهم صفة الجهل لقصد الاعتذار عنهم ، وتخفيف الأمر عليهم ، فكأنه قال : إنما أقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر وقت عدم علمكم بما فيه من الإثم ، وقصور معارفكم عن عاقبته ، وما يترتب عليه ، أو أراد عند ذلك فى أوان الصبا وزمان الصغر اعتذارًا لهم ، ورفعا لما يدهمهم من الخجل والحيرة مع علمه وعلمهم بأنهم كانوا فى ذلك الوقت كبارا .

﴿ **قالوا أئنك لأنت يوسف** ﴾ قرأ ابن كثير : « إنك » على الخبر بدون استفهام ، وقرأ الباقون على الاستفهام التقريرى ، وكان ذلك منهم على طريق التعجب والاستغراب . قيل : سبب معرفتهم له بمجرد قوله لهم : ﴿ **ما فعلتم بيوسف وأخيه** ﴾ أنهم لما قال لهم ذلك تنبهوا وفهموا أنه لا يخاطبهم بمثل هذا إلا هو . وقيل : إنه لما قال لهم بهذه المقالة وضع التاج عن رأسه فعرفوه . وقيل : إنه تبسم فعرفوا ثناياه ﴿ **قال أنا يوسف وهذا أخى** ﴾ أجابهم بالاعتراف بما سألوه عنه . قال ابن الأنبارى : أظهر الاسم فقال : أنا يوسف ، ولم يقل أنا هو ، تعظيمًا لما وقع به من ظلم إخوته ، كأنه قال : أنا المظلوم المستحل منه المحرم ، والمراد قتله ، فاكتفى بإظهار الاسم عن هذه المعانى ، وقال : وهذا أخى مع كونهم يعرفونه ولا ينكرونه ؛ لأن قصده وهذا أخى المظلوم كظلمى ﴿ **قد من الله علينا** ﴾ بالخلاص عما ابتلينا به . وقيل : منَّ الله علينا بكل خير فى الدنيا والآخرة . وقيل : بالجمع بيننا بعد التفرق ، ولا مانع من إرادة جميع ذلك ﴿ **إنه من يتق ويصبر** ﴾ قرأ الجمهور بالجزم على أن « من » شرطية . وقرأ ابن كثير بإثبات الياء فى يتقى ، كما فى قول الشاعر :

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالأَنْبَاءُ تُنمِى ... بِما لاقَتْ لَبُونُ بَنِى زِيادِ

وقيل : إنه جعل « من » موصولة لا شرطية ، وهو بعيد ، والمعنى : إنه من يفعل التقوى أو يفعل ما يقيه عن الذنوب ويصبر على المصائب ﴿ **فإن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾ على العموم ، فيدخل فيه ما يفيده السياق دخولاً أوليا وجاء بالظاهر ، وكان المقام مقام المضمر ، أى أجرهم للدلالة على أن الموصوفين بالتقوى موصوفون بصفة الإحسان ﴿ **قالوا تالله لقد آثرك الله علينا** ﴾ أى لقد اختارك وفضلك علينا بما خصك به من صفات الكمال ، وهذا اعتراف منهم بفضله وعظيم قدره ولا يلزم من ذلك ألا يكونوا أنبياء ، فإن درج الأنبياء متفاوتة قال الله تعالى: ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض** ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ﴿ **وإن كنا لخاطئين** ﴾ أى وإن

الشأن ذلك . قال أبو عبيدة : خطئ وأخطأ بمعنى واحد . وقال الأزهرى : المخطئ من أراد الصواب فصار إلى غيره ، ومنه قولهم : المجتهد يخطئ ويصيب ، والخاطئ من تعمد ما لا ينبغى . قالوا هذه المقالة المتضمنة للاعتراف بالخطأ والذنب استجلابًا لعفوه واستجذابًا لصفحه .

﴿ **قال لا تثريب عليكم** ﴾ التثريب التعيير والتوبيخ أى لا تعيير ولا توبيخ ، ولا لوم عليكم . قال الأصمعى : ثربت عليه ، قبحت عليه فعله . وقال الزجاج : المعنى لا إفساد لما بينى وبينكم من الحرمة وحق الأخوة ولكم عندى الصلح والعفو ، وأصل التثريب : الإفساد ، وهى لغة أهل الحجاز . وقال ابن الأنبارى : معناه : قد انقطع عنكم توبيخى عند اعترافكم بالذنب . قال ثعلب : ثرب فلان على فلان إذا عدد عليه ذنوبه وأصل التثريب من الثرب ، وهو الشحم الذى هو غاشية الكرش ومعناه : إزالة التثريب ، كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع وانتصاب ﴿ **اليوم** ﴾ بالتثريب ، أى لا أثرب عليكم أو منتصب بالعامل المقدر فى ﴿**عليكم** ﴾ ، وهو مستقر أو ثابت أو نحوهما ، أى لا تثريب مستقر أو ثابت عليكم ، وقد جوز الأخفش الوقف على ﴿ **عليكم** ﴾ ، فيكون : اليوم متعلق بالفعل الذى بعده ، وقد ذكر مثل هذا ابن الأنبارى . ثم دعا لهم بقوله : ﴿ **يغفر الله لكم** ﴾ على تقدير الوقف على اليوم أو أخبرهم بأن الله قد غفر لهم ذلك اليوم على تقدير الوقف على ﴿ **اليوم** ﴾ ، أو أخبرهم بأن الله قد غفر لهم ذلك اليوم على تقدير الوقف على ﴿**عليكم**﴾ ﴿ **وهو أرحم الراحمين** ﴾ يرحم عباده رحمة لا يتراحمون بها فيما بينهم فيجازى محسنهم ويغفر لمسيئهم .

قوله : ﴿ **اذهبوا بقميصى هذا** ﴾ قيل : هذا القميص هو القميص الذى ألبسه الله إبراهيم لما ألقى فى النار وكساه إبراهيم إسحاق ، وكساه إسحاق يعقوب ، وكان يعقوب أدرج هذا القميص فى قضيب وعلقه فى عنق يوسف لما كان يخاف عليه من العين ، فأخبر جبريل يوسف أن يرسل به إلى يعقوب ليعود عليه بصره ؛ لأن فيه ريح الجنة ، وريح الجنة لا يقع على سقيم إلا شفى ، ولا مبتلى إلا عوفى ﴿ **فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا** ﴾ أى يصرْ بصيرًا ، على أن ﴿ **يأت** ﴾ هى التى من أخوات كان . قال الفراء : يرجع بصيرًا . وقال السدى : يعد بصيرًا . وقيل: معناه: يأت إلىَّ إلى مصر وهو بصير قد ذهب عنه العمى ويؤيده قوله: ﴿ **وأتونى بأهلكم أجمعين** ﴾ أى جميع من شمله لفظ الأهل من النساء والذرارى . وقيل : كانوا نحو سبعين . وقيل : ثلاثة وتسعين .

﴿ **ولما فصلت العير** ﴾ أى خرجت منطلقة من مصر إلى الشام ، يقال : فصل فصولاً ، وفصلته فصلاً لازم ومتعد ، ويقال : فصل من البلد فصولا : إذا انفصل عنه وجاوز حيطانه ﴿**قال أبوهم** ﴾ أى يعقوب لمن عنده فى أرض كنعان من أهله ﴿ **إنى لأجد ريح يوسف** ﴾ قيل : إنها هاجت ريح فحملت ريح القميص إلى يعقوب مع طول المسافة فأخبرهم بما وجد ، ثم قال : ﴿ **لولا أن تفندون** ﴾ لولا أن تنسبونى إلى الفند وهو ذهاب العقل من الهرم . يقال : أفند الرجل : إذا خرف وتغير عقله . وقال أبو عبيدة : لولا أن تسفهون ، فجعل الفند السفه . وقال

الزجاج : لولا أن تجهلون ، فجعل الفند الجهل ، ويؤيد ذلك قول من قال : إنه السفه قول النابغة :

إلاَّ سُليمان إذْ قَالَ المليكُ لَـهُ قُمْ فى البرية فاحْدُدْها عن الفَنَدِ

أى امنعها عن السفه .

وقال أبو عمرو الشيبانى : التفنيد : التقبيح ، ومنه قول الشاعر :

يا صاحبىّ دَعَا لَوْمِى وَتَفْنِيدى فليس ما فاتَ مِن أمرى بمردودِ

وقيل : هو الكذب ، ومنه قول الشاعر :

هَلْ فى افْتِخَارِ الكَرِيمِ مِنْ أودِ ؟ أمْ هَلْ لقول الصَّدِيقِ من فَنَـدِ ؟

وقال ابن الأعرابى : ﴿ **لولا أن تفندون** ﴾ : لولا أن تضعفوا رأيى ، وروى مثله عن أبى عبيدة . وقال الأخفش : التفنيد : اللوم وضعف الرأى ، وكل هذه المعانى راجع إلى التعجيز وتضعيف الرأى . يقال : فنده تفنيداً ، إذا أعجزه : وأفند: إذا تكلم بالخطأ . والفند : الخطأ من الكلام ، ومما يدل على إطلاقه على اللوم قول الشاعر :

يَـاعَـاذِلى دَعَـا المَـلامَ وَأقْصِرَا طَـالَ الهَوَى وَأطَلْتُمـا التَّفْنِيَـدا

أخبرهم يعقوب بأن الصبا قد حملت إليه ريح حبيبه ، وأنه لولا ما يخشاه من التفنيد لما شك فى ذلك :

فـإن الصبـا ريـح إذا تنفسـت عـلى نفس مهمـوم تجـلت هـمومهـا

* * *

إذا قلت هذا حين أسلو يهيجنى نسيم الصبا من حيث ما يطلع الفـجر

* * *

ولقد تهب لى الصبا من أرضها فيلـذ مـس هـبوبهـا ويطـيب

﴿ **قالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم** ﴾ أى قال الحاضرون عنده من أهله : إنك يا يعقوب لفى ذهابك عن طريق الصواب الذى كنت عليه قديمًا من إفراط حبك ليوسف **لا** تنساه ولا تفتر عنه ، ولسان حال يعقوب يقول لهم :

لاَ يَعْرِفُ الشَّوقَ إلا مَن يُكَابِدَه وَلا الصَّبَـابـةَ إلا مَـنْ يُعَـانِيهـا

لا تَعْـذِل المُشْتَاقَ فى أشْـوَاقِـه حَتَّى تَكُـون حَشَـاكَ فى أحْشَـائِـه

وقيل : المعنى : إنك لفى جنونك القديم . وقيل : فى محبتك القديمة . قالوا له ذلك لأنه لم يكن قد بلغهم قدوم البشير . ﴿ **فلما أن جاء البشير** ﴾ قال المفسرون : البشير هو يهوذا بن

يعقوب قال لإخوته : أنا جئته بالقميص ملطخًا بالدم فأعطنى اليوم قميصك لأخبره أنك حى ، فأفرحه كما أحزنته ﴿ **ألقاه على وجهه** ﴾ أى ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب على وجه نفسه ﴿ **فارتد بصيرًا** ﴾ الارتداد انقلاب الشىء إلى حال قد كان عليها ، والمعنى : عاد ورجع إلى حالته الأولى من صحة بصره ﴿ **قال ألم أقل لكم** ﴾ أى قال يعقوب لمن كان عنده من أهله الذين قال لهم : ﴿ **إنى لأجد ريح يوسف** ﴾ : ألم أقل لكم هذا القول فقلتم ما قلتم ؟ ويكون قوله : ﴿ **إنى أعلم من الله ما لا تعلمون** ﴾ كلاما مبتدأ لا يتعلق بالقول . ويجوز أن تكون جملة : ﴿ **إنى أعلم من الله ما لا تعلمون** ﴾ مقول القول ويريد بذلك إخبارهم بما قاله لهم سابقا : ﴿ **إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون** ﴾ ﴿ **قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين** ﴾ طلبوا منه أن يستغفر لهم ، واعترفوا بالذنب وفى الكلام حذف ، والتقدير : ولما رجعوا من مصر ، ووصلوا إلى أبيهم قالوا هذا القول ، فوعدهم بما طلبوه منه ، و ﴿ **قال سوف أستغفر لكم ربى** ﴾ قال الزجاج : أراد يعقوب أن يستغفر لهم وقت السحر ؛ لأنه أخلق بإجابة الدعاء ،لا أنه بخل عليهم بالاستغفار . وقيل : أخره إلى ليلة الجمعة ، وقيل : أخره إلى أن يستحل لهم من يوسف ، ولم يعلم أنه قد عفا عنهم ، وجملة : ﴿ **إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ تعليل لما قبله .

وقد أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة فى قوله : ﴿ **لا تثريب** ﴾ قال : لا تعيير . وأخرج أبو الشيخ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة التفت إلى الناس فقال : « ماذا تقولون وماذا تظنون ؟ » فقالوا : ابن عم كريم ، فقال : ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم** ﴾ . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعًا نحوه . وأخرج البيهقى فى الدلائل عن أبى هريرة مرفوعًا نحوه [1] . وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن عطاء الخراسانى ، قال : طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منها عند الشيوخ ، ألم تر إلى قول يوسف : ﴿**لا تثريب عليكم اليوم**﴾ ؟ وقال يعقوب: ﴿**سوف أستغفر لكم ربى**﴾.

أقول : وفى هذا الكلام نظر فإنهم طلبوا من يوسف أن يعفو عنهم بقولهم : ﴿ **لقد آثرك الله علينا** ﴾ فقال : ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم** ﴾ لأن مقصودهم صدور العفو منه عنهم ، وطلبوا من أبيهم يعقوب أن يستغفر الله لهم وهو لا يكون إلا بطلب ذلك منه إلى الله عز وجل ، وبين المقامين فرق ، فلم يكن وعد يعقوب لهم بخلاً عليهم بسؤال الله لهم، ولاسيما إذا صح ما تقدم من أنه أخر ذلك إلى وقت الإجابة فإنه لو طلبه لهم فى الحال لم يحصل له علم بالقبول .

وأخرج الحكيم الترمذى وأبو الشيخ عن وهب بن منبه قال : لما كان من أمر إخوة يوسف ما كان كتب يعقوب إلى يوسف وهو لا يعلم أنه يوسف : بسم الله الرحمن الرحيم ، من يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم إلى عزيز آل فرعون : سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى

---

(١) البيهقى فى الدلائل ٥ / ٨٧ .

لا إله إلا هو أما بعد : فإنا أهل بيت مولع بنا أسباب البلاء ، كان جدى إبراهيم خليل الله ألقى فى النار فى طاعة ربه ، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا ، وأمر الله جدى أن يذبح له أبى (١) ففداه الله بما فداه ، وكان لى ابن وكان من أحب الناس إلىّ ففقدته ، فأذهب حزنى عليه نور بصرى ، وكان له أخ من أمه كنت إذا ذكرته ضممته إلى صدرى فأذهب عنى بعض وجدى ، وهو المحبوس عندك فى السرقة . وإنى أخبرك أنى لم أسرق ، ولم ألد سارقًا ، فلما قرأ يوسف الكتاب بكى وصاح وقال : ﴿ **اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا** ﴾ .

وأخرج أبو الشيخ عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال فى قوله : ﴿**اذهبوا بقميصى هذا**﴾ : أن نمروذ لما ألقى إبراهيم فى النار نزل إليه جبريل بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة ، فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة ، وقعد معه يتحدث ، فأوحى الله إلى النار ﴿ **كونى بردًا وسلاما**﴾ [الأنبياء : ٦٩] ولولا أنه قال : ﴿ **وسلاما** ﴾ لآذاه البرد . وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس مرفوعًا : إن الله كسا إبراهيم ثوبًا من الجنة ، فكساه إبراهيم إسحاق ، وكساه إسحاق يعقوب ، فأخذه يعقوب فجعله فى قصبة من حديد وعلقه فى عنق يوسف ، ولو علم إخوته إذ ألقوه فى الجب لأخذوه ، فلما أراد الله أن يرد يوسف على يعقوب كان بين رؤياه وتعبيره أربعون سنة ، أمر البشير أن يبشره من ثمان مراحل ، فوجد يعقوب ريحه فقال : ﴿ **إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون** ﴾ فلما ألقاه على وجهه ارتد بصيرًا وليس يقع شىء من الجنة على عاهة من عاهات الدنيا إلا أبرأها بإذن الله .

وأخرج عبد الرزاق والفريابى وأحمد فى الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ولما فصلت العير** ﴾ قال : لما خرجت العير هاجت الريح ، فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف فقال : ﴿ **إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون** ﴾ تسفهون ، فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام . وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عنه قال : وجد ريحه من مسيرة عشرة أيام . وأخرج ابن أبى حاتم من وجه آخر عنه قال : وجده من مسيرة ثمانين فرسخًا . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عنه أيضا ﴿ **لولا أن تفندون** ﴾ قال : تجهلون . وأخرج ابن جرير عنه أيضًا : قال : تكذبون . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد قال : تهرمون ، يقولون : قد ذهب عقلك وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن الربيع قال : لولا أن تحمقون

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿ **إنك لفى ضلالك القديم** ﴾ يقول : خطئك القديم . وأخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير قال : جنونك القديم . وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال : حبك القديم . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : البشير : البريد . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن الضحاك مثله . وأخرج ابن جرير وابن المنذر

(١) الأرجح أن هذا من الإسرائيليات كما تقدم ، فإن الصحيح أن إسماعيل هو الذبيح .

وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن سفيان قال : البشير هو يهوذا بن يعقوب . وأخرج ابن أبى حاتم عن الحسن قال : لما أن جاء البشير إلى يعقوب فألقى عليه القميص قال : على أى دين خلفت يوسف ؟ قال : على الإسلام قال : الآن تمت النعمة .

وأخرج أبو عبيد وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ **سوف أستغفرلكم ربى** ﴾ قال : إن يعقوب أخر بنيه إلى السحر . وأخرج ابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال : أخرهم إلى السحر ، وكان يصلى بالسحر . وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عنه قال : أخرهم إلى السحر لأن دعاء السحر مستجاب . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عنه أيضًا قال : قال النبى ﷺ فى قصه : « هو قول أخى يعقوب لبنيه : ﴿**سوف أستغفر لكم ربى** ﴾ يقول : حتى تأتى ليلة الجمعة » (١) .

﴿ **فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)** ﴾ .

قوله : ﴿ **فلما دخلوا على يوسف** ﴾ لعل فى الكلام محذوفًا مقدرًا ، وهو : فرحل يعقوب وأولاده وأهله إلى مصر ، فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه ، أى ضمهما وأنزلهما عنده ، قال المفسرون : المراد بالأبوين هنا يعقوب وزوجته خالة يوسف ؛ لأن أمه قد كانت ماتت فى ولادتها لأخيه بنيامين ، كما تقدم . وقيل : أحيا الله له أمه تحقيقًا للرؤيا حتى سجدت له ﴿**وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين** ﴾ مما تكرهون ، وقد كانوا فيما مضى يخافون ملوك مصر ولا يدخلونها إلا بجواز منهم . قيل : والتقييد بالمشيئة عائد إلى الأمن ، ولا مانع من عوده إلى الجميع ؛ لأن دخولهم لا يكون إلا بمشيئة الله سبحانه ، كما أنهم لا يكونون آمنين إلا بمشيئته . وقيل : إن التقييد بالمشيئة راجع إلى قوله : ﴿ **سوف أستغفر لكم ربى** ﴾ وهو بعيد ، وظاهر النظم القرآنى : أن يوسف قال لهم هذه المقالة ، أى ادخلوا مصر قبل دخولهم . وقد قيل فى

---

(١) جزء من حديث طويل رواه الترمذى فى الدعوات (٣٥٧٠) وقال : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم » . والحاكم ١ / ٣١٦ من الطريق نفسها ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » . وقد علق عليه الذهبى فقال : « هذا حديث منكر شاذ أخاف لا يكون موضوعًا وقد حيرنى والله جودة سنده فالله أعلم » ، كما أخرجه ابن جرير ١٣ / ٤٢ .

توجيه ذلك : أنه تلقاهم إلى خارج مصر ، فوقف منتظرًا لهم فى مكان أو خيمة فدخلوا عليه ، فـ ﴿ **آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر** ﴾ فلما دخلوا مصر ودخلوا عليه دخولاً آخر فى المكان الذى له بمصر ﴿ **رفع أبويه على العرش** ﴾ أى أجلسهما معه على السرير الذى يجلس عليه كما هو عادة الملوك .

﴿ **وخروا له سجدا** ﴾ أى الأبوان والإخوة ، والمعنى : أنهم خروا ليوسف سجدًا ، وكان ذلك جائزًا فى شريعتهم منزلاً منزلة التحية . وقيل : لم يكن ذلك سجودًا بل هو مجرد إيماء ، وكانت تلك تحيتهم ، وهو يخالف معنى ﴿ **وخروا له سجدا** ﴾ فإن الخرور فى اللغة المقيد بالسجود لا يكون إلا بوضع الوجه على الأرض . وقيل : الضمير فى قوله : ﴿ **له** ﴾ راجع إلى الله سبحانه أى وخروا لله سجدًا ، وهو بعيد جدًا . وقيل : إن الضمير ليوسف ، واللام للتعليل ، أى وخروا لأجله سجدًا ، وفيه أيضا بعد ، وقال يوسف: ﴿ **يأبت هذا تأويل رؤياى** ﴾ يعنى التى تقدم ذكرها ﴿ **من قبل** ﴾ أى من قبل هذا الوقت ﴿ **قد جعلها ربى حقا** ﴾ بوقوع تأويلها على ما دلت عليه ﴿ **وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن** ﴾ الأصل أن يتعدى فعل الإحسان بإلى ، وقد يتعدى بالباء كما فى قوله تعالى : ﴿ **وبالوالدين إحسانا** ﴾ [الإسراء : ٢٣] . وقيل : إنه ضمن أحسن معنى لطف ، أى وقد لطف بى محسنًا ، ولم يذكر إخراجه من الجب ، لأن فى ذكره نوع تثريب للإخوة . وقد قال : لا تثريب عليكم ، وقد تقدم سبب سجنه ومدة بقائه فيه، وقد قيل : إن وجه عدم ذكر إخراجه من الجب أن المنة كانت فى إخراجه من السجن أكبر من المنة فى إخراجه من الجب، وفيه نظر . ﴿ **وجاء بكم من البدو** ﴾ أى البادية، وهى أرض كنعان بالشام ، وكانوا أهل مواش وبرية . وقيل : إن الله لم يبعث نبيًا من البادية ، وأن المكان الذى كان فيه يعقوب يقال له : بدا ، وإياه عنى جميل بقوله :

وَأَنتِ التى حَبَّبْت شَعْبًا إلى بَدَا ... إلىّ وأوْطانِى بِلادٌ سِواهُمَا (١)

وفيه نظر ، ﴿ **من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى** ﴾ أى أفسد بيننا وحمل بعضنا على بعض ، يقال : نزغه: إذا نخسه ، فأصله من نخس الدابة ليقوى مشيها وأحال يوسف ذنب إخوته على الشيطان تكرمًا منه وتأدبا ﴿ **إنّ ربى لطيف لما يشاء** ﴾ اللطيف : الرفيق . قال الأزهرى: اللطيف من أسماء الله تعالى معناه : الرفيق بعباده ، يقال : لطف فلان بفلان يلطف: إذا رفق به . وقال عمرو بن أبى عمرو : اللطيف : الذى يوصل إليك أربك فى لطف . قال الخطابى : اللطيف هو البر بعباده الذى يلطف بهم من حيث لا يعلمون ، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون . وقيل : اللطيف : العالم بدقائق الأمور . ومعنى ﴿ **لما يشاء** ﴾ : لأجل

(١) فى المخطوطة : « الذى » بدلاً من « التى » « وشعبا » بدلاً من « شغبا » والشغب : موضع بين المدينة والشام .

ما يشاء حتى يجيء على وجه الصواب ﴿ **إنه هو العليم الحكيم** ﴾ أى العليم بالأمور ، الحكيم فى أفعاله .

ولما أتم الله نعمته على يوسف عليه السلام بما أخلصه منه من المحن العظيمة ، وبما خوله من الملك ، وعلمه من العلم ، تاقت نفسه إلى الخير الأخروى الدائم الذى لا ينقطع فقال : ﴿**رب قد آتيتنى من الملك** ﴾ : « من » للتبعيض ، أى بعض الملك لأنه لم يؤت كل الملك ، إنما أوتى ملكًا خاصًا ، وهو ملك مصر فى زمن خاص ﴿ **وعلمتنى من تأويل الأحاديث** ﴾ أى بعضها ، لأنه لم يؤت جميع علم التأويل ، سواء أريد به مطلق العلم والفهم ، أو مجرد تأويل الرؤيا . وقيل : « من » للجنس ، كما فى قوله : ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان** ﴾ [الحج : ٣٠]. وقيل : زائدة ، أى آتيتنى الملك وعلمتنى تأويل الأحاديث ﴿ **فاطر السموات والأرض**﴾ منتصب على أنه صفة لرب ، لكونه منادى مضافًا ، ويجوز أن يكون انتصابه على أنه منادى بحرف مقدر ، أى يا فاطر ، والفاطر : الخالق والمنشئ والمخترع والمبدع ﴿ **أنت ولى** ﴾ أى ناصرى ومتولى أمورى ﴿ **فى الدنيا والآخرة** ﴾ تتولانى فيهما ﴿ **توفنى مسلمًا وألحقنى بالصالحين** ﴾ أى توفنى على الإسلام لا يفارقنى حتى أموت ، وألحقنى بالصالحين من النبيين من آبائى وغيرهم فأظفر بثوابهم منك ، ودرجاتهم عندك . وقيل : إنه لما دعا بهذا الدعاء توفاه الله عز وجل . قيل : كان عمره عند أن ألقى فى الجب سبع عشرة سنة ، وكان فى العبودية والسجن والملك ثمانين سنة إلى قدوم أبيه يعقوب عليه ، ثم عاش بعد اجتماع شملهم حتى كمل عمره المقدار الذى سيأتى وتوفاه الله . قيل : لم يتمن الموت أحد غير يوسف لانبى ولا غيره . وذهب الجمهور إلى أنه لم يتمن الموت بهذا الدعاء ، وإنما دعا ربه أن يتوفاه على الإسلام ، ويلحقه بالصالحين من عباده عند حضور أجله .

وقد أخرج أبو الشيخ عن أبى هريرة قال : دخل يعقوب مصر فى ملك يوسف وهو ابن مائة وثلاثين سنة ، وعاش فى ملكه ثلاثين سنة ، ومات يوسف وهو ابن مائة وعشرين سنة . قال أبو هريرة : وبلغنى أنه كان عمر إبراهيم خليل الله مائة وخمسًا وتسعين سنة . وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة فى قوله : ﴿ **آوى إليه أبويه** ﴾ قال : أبوه وأمه ضمهما . وأخرجا عن وهب قال : أبوه وخالته ، وكانت توفيت أم يوسف فى نفاس أخيه بنيامين . وأخرج أبو الشيخ نحوه عن سفيان بن عيينة .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ورفع أبويه على العرش** ﴾ قال : السرير . وأخرج ابن أبى حاتم عن عدى بن حاتم فى قوله : ﴿ **وخروا له سجدا** ﴾ قال : كانت تحية من كان قبلكم فأعطاكم الله السلام مكانها . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة نحوه . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن زيد قال : ذلك سجود تشرفة كما سجدت الملائكة تشرفة لآدم ، وليس سجود عبادة . وأخرج

أبو الشيخ عن قتادة فى قوله. ﴿ **إن ربى لطيف لما يشاء** ﴾ قال : لطيف ليوسف ، وصنع له حين أخرجه من السجن، وجاء بأهله من البدو، ونزع من قلبه نزغ الشيطان، وتحريشه على إخوته.

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : ما سأل نبى الوفاة غير يوسف . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عنه قال : اشتاق إلى لقاء الله ، وأحب أن يلحق به وبآبائه ، فدعا الله أن يتوفاه ، وأن يلحقه بهم . وأخرج أبو الشيخ عن الضحاك فى قوله : ﴿ **وألحقنى بالصالحين** ﴾ قال : يعنى : إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن عكرمة قال : يعنى أهل الجنة .

﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (١٠٤) وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦) أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٠٧) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)** ﴾.

الخطاب بقوله : ﴿ **ذلك** ﴾ لرسول الله ﷺ وهو مبتدأ خبره ﴿ **من أنباء الغيب** ﴾ و﴿**نوحيه إليك** ﴾ خبر ثان ، قال الزجاج : ويجوز أن يكون ذلك بمعنى : الذى ، ونوحيه إليك خبره ، أى الذى من أنباء الغيب نوحيه إليك والمعنى : الإخبار من الله تعالى لرسوله ﷺ بأن هذا الذى قصه عليه من أمر يوسف وإخوته من الأخبار التى كانت غائبة عن رسول الله ﷺ وأوحاه الله إليه وأعلمه به ، ولم يكن عنده قبل الوحى شىء من ذلك ، وفيه تعريض بكفار قريش لأنهم كانوا مكذبين له ﷺ بما جاء به جحودًا وعنادًا وحسدًا، مع كونهم يعلمون حقيقة الحال ﴿ **وما كنت لديهم** ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿ **إذ أجمعوا أمرهم** ﴾ إجماع الأمر : العزم عليه، أى وما كنت لدى إخوة يوسف إذ عزموا جميعا على إلقائه فى الجب وهم فى تلك الحالة ﴿ **يمكرون** ﴾ به أى بيوسف فى هذا الفعل الذى فعلوه به ، ويبغونه الغوائل . وقيل : الضمير ليعقوب، أى يمكرون بيعقوب حين جاؤوه بقميص يوسف ملطخًا بالدم، وقالوا : أكله الذئب.

وإذا لم يكن رسول الله ﷺ لديهم عند أن فعلوا ذلك انتفى علمه بذلك مشاهدة ، ولم يكن بين قوم لهم علم بأحوال الأمم السالفة ، ولا خالطهم ولا خالطوه فانتفى علمه بذلك بطريق الرواية عن الغير ، فلم يبق لعلمه بذلك طريق إلا مجرد الوحى من الله سبحانه ، فهذا يستلزم الإيمان بما جاء به فلما لم يؤمن بذلك من عاصره من الكفار قال الله سبحانه ذاكرًا لهذا: ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ أى وما أكثر الناس المعاصرين لك يا محمد ، أو أكثر الناس

على العموم، ولو حرصت على هدايتهم وبالغت فى ذلك بمؤمنين بالله لتصميمهم على الكفر الذى هو دين آبائهم ، يقال : حَرَصَ يَحْرِصُ مثل : ضَرَبَ يَضْرِبُ ، وفى لغة ضعيفة : حَرِصَ يَحرص مثل حَمِد يَحْمَدُ ، والحِرص : طلب الشىء باجتهاد . قال الزجاج : ومعناه : وما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت على أن تهديهم ؛ لأنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء . قال ابن الأنبارى : إن قريشًا واليهود سألت رسول الله ﷺ عن قصة يوسف وإخوته فشرحهما شرحًا شافيًا وهو يؤمل أن يكون ذلك سببًا لإسلامهم ؛ فخالفوا ظنه، وحزن رسول الله ﷺ لذلك فعزاه الله بقوله : ﴿ **وما أكثر الناس** ﴾ الآية.

﴿ **وما تسألهم عليه من أجر** ﴾ أى على القرآن وما تتلوه عليهم منه ، أو على الإيمان ، وحرصك على وقوعه منهم أو على ما تحدثهم به من هذا الحديث ﴿ **من أجر** ﴾ من مال يعطونك إياه ، ويجعلونه لك كما يفعله أحبارهم ﴿ **إن هو** ﴾ أى القرآن ، أو الحديث الذى حدثهم به ﴿**إلا ذكر للعالمين** ﴾ أى ما هو إلا ذكر للعالمين كافة لا يختص بهم وحدهم . ﴿**وكأين من آية فى السموات والأرض** ﴾ قال الخليل وسيبويه : والأكثرون أن ﴿ **كأين** ﴾ أصلها: أى ، دخل عليها كاف التشبيه لكنه انمحى عن الحرفين المعنى الإفرادى وصار المجموع كاسم واحد بمعنى « كَمْ » الخبرية ، والأكثر إدخال «من» فى ميزه وهو يتميز عن الكاف لا عن أى كما فى مثلك رجلاً وقد مر الكلام على هذا مستوفى فى آل عمران ، والمعنى: كم من آية تدلهم على توحيد الله كائنة فى السموات من كونها منصوبة بغير عمد ، مزينة بالكواكب النيرة السيارة والثوابت ، وفى الأرض من جبالها وقفارها وبحارها ونباتها وحيواناتها تدلهم على توحيد الله سبحانه ، وأنه الخالق لذلك، الرزاق له، المحيى والمميت، ولكن أكثر الناس يمرون على هذه الآيات غير متأملين لها ، ولا مفكرين فيها ، ولا ملتفتين إلى ماتدل عليه من وجود خالقها ، وأنه المتفرد بالألوهية مع كونهم مشاهدين لها ﴿ **يمرون عليها وهم عنها معرضون** ﴾ وإن نظروا إليها بأعيانهم فقد أعرضوا عما هو الثمرة للنظر بالحدقة ، وهى التفكر والاعتبار والاستدلال ، وقرأ عكرمة وعمرو بن فايد برفع ﴿ **الأرض** ﴾ على أنه مبتدأ ، وخبره : ﴿ **يمرون عليها** ﴾ ، وقرأ السدى بنصب ﴿**الأرض**﴾ بتقدير فعل ، وقرأ ابن مسعود : « يمشون عليها » .

﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله** ﴾ أى وما يصدق ويقر أكثر الناس بالله مع كونه الخالق الرزاق المحيى المميت ﴿ **إلا وهم مشركون** ﴾ بالله يعبدون معه غيره ، كما كانت تفعله الجاهلية فإنهم مقرون بالله سبحانه ، وبأنه الخالق لهم ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله** ﴾ [الزخرف : ٨٧] ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله** ﴾ [لقمان: ٢٥] لكنهم كانوا يثبتون له شركاء فيعبدونهم ليقربوهم إلى الله ﴿ **مَا نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله** ﴾ [1] [الزمر : ٣] ومثل هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله المعتقدون فى الأموات بأنهم

---

(١) فى المطبوعة : « إنما نعبدهم » .

يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه كما يفعله كثير من عباد القبور ، ولا ينافى هذا ما قيل من أن الآية نزلت فى قوم مخصوصين (١) ، فالاعتبار بما يدل عليه اللفظ لا بما يفيده السبب من الاختصاص بمن كان سببًا لنزول الحكم .

﴿ **أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله** ﴾ الاستفهام للإنكار ، والغاشية : ما يغشاهم ويغمرهم من العذاب كقوله تعالى : ﴿ **يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم** ﴾ [العنكبوت : ٥٥] وقيل : هى الساعة . وقيل : هى الصواعق والقوارع ، ولا مانع للحمل على العموم ﴿ **أو تأتيهم الساعة بغتة** ﴾ أى فجأة ، وانتصاب بغتة على الحال ، قال المبرد : جاء عن العرب حال بعد نكرة ، وهو قولهم : وقع أمر بغتة ، يقال : بغتهم الأمر بغتًا وبغتة إذا فاجأهم ﴿ **وهم لا يشعرون** ﴾ بإتيانه ، ويجوز انتصاب بغتة على أنها صفة مصدر محذوف .

﴿ **قل هذه سبيلى** ﴾ أى قل يا محمد للمشركين : هذه الدعوة التى أدعو إليها ، والطريقة التى أنا عليها سبيلى ، أى طريقتى وسنتى فاسم الإشارة مبتدأ وخبره سبيلى ، وفسر ذلك بقوله: ﴿ **أدعو إلى الله على بصيرة** ﴾ أى على حجة واضحة ، والبصيرة : المعرفة التى يتميز بها الحق من الباطل، والجملة فى محل نصب على الحال ﴿ **أنا ومن اتبعنى** ﴾ واهتدى بهدى، قال الفراء: والمعنى : ومن اتبعنى يدعو إلى الله كما أدعو ، وفى هذا دليل على أن كل متبع لرسول الله ﷺ حق عليه أن يقتدى به فى الدعاء إلى الله ، أى الدعاء إلى الإيمان به وتوحيده ، والعمل بما شرعه لعباده ﴿ **وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ أى وقل يا محمد لهم : سبحان الله وما أنا من المشركين بالله الذين يتخذون من دونه أندادًا . قال ابن الأنبارى : ويجوز أن يتم الكلام عند قوله : ﴿ **أدعو إلى الله** ﴾ ثم ابتدأ فقال : ﴿ **على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس فى قوله: ﴿ **وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون** ﴾ قال : هم بنو يعقوب إذ يمكرون بيوسف . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة فى الآية يقول : وما كنت لديهم وهم يلقونه فى غيابة الجب ، وهم يمكرون بيوسف . وأخرج أبو الشيخ عن الضحاك ﴿ **وكأين من آية** ﴾ قال : كم من آية فى السماء يعنى :شمسها وقمرها ونجومها وسحابها ، وفى الأرض ما فيها من الخلق والأنهار والجبال والمدائن والقصور .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ قال : سلهم من خلقهم ، ومن خلق السموات والأرض ، فسيقولون الله ، فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره . وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر

---

(١) قيل : نزلت فى قوم أقروا بالله وعبدوا الأوثان وقيل : نزلت فى أهل كتاب آمنوا بالله وكفروا بمحمد ﷺ وقيل : نزلت فى تلبية مشركى العرب وقيل : نزلت فى المشبهة . وقيل : فى المنافقين وقيل : فى قصة الدخان . القرطبى ٥ / ٣٥٠١ ، ٣٥٠٢ .

وأبو الشيخ عن عطاء فى قوله : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ قال : كانوا يعلمون أن الله ربهم وهو خالقهم وهو رازقهم وكانوا مع ذلك يشركون . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن الضحاك فى الآية قال : كانوا يشركون به فى تلبيتهم يقولون : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك. وأخرج أبو الشيخ عن الحسن فى الآية قال : ذلك المنافق يعمل بالرياء وهو مشرك بعمله . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن قتادة فى قوله : ﴿ **غاشية من عذاب الله** ﴾ قال : وقيعة تغشاهم .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **هذه سبيلى** ﴾ قل : هذه دعوتى . وأخرج أبو الشيخ عنه ﴿ **قل هذه سبيلى**﴾ قال : صلاتى . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن زيد فى الآية قال : أمرى ومشيئتى ومنهاجى . وأخرجا عن قتادة في قوله : ﴿ **على بصيرة**﴾ أى على هدى ﴿ **أنا ومن اتبعنى** ﴾ .

﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ من قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْاْ أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٠٩) حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)** ﴾ .

قوله : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا** ﴾ هذا رد على من قال: ﴿ **لولا أنزل عليه ملك**﴾ [الأنعام: ٨] أى لم نبعث من الأنبياء إلى من قبلهم إلا رجالاً لا ملائكة، فكيف ينكرون إرسالنا إياك ؟ وتدل الآية على أن الله سبحانه لم يبعث نبيًا من النساء ولا من الجن ، وهذا يرد على من قال إن فى النساء أربع نبيات : حواء ، وآسية وأم موسى ، ومريم ، وقد كان بعثة الأنبياء من الرجال دون النساء أمرًا معروفًا عند العرب ، حتى قال قيس بن عاصم فى سجاح المتنبئة :

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها ... وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

فلعنة الله والأقوام كلهم ... على سجاح ومن بالؤم أغرانا

﴿ **نوحى إليهم** ﴾ كما نوحى إليك ﴿ **من أهل القرى** ﴾ أى المدائن دون أهل البادية لغلبة الجفاء والقسوة على البدو ؛ ولكون أهل الأمصار أتم عقلاً وأكمل حلمًا وأجل فصلا ﴿ **أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** ﴾ يعنى : المشركين المنكرين لنبوة محمد ﷺ ، أى أفلم يسر المشركون هؤلاء فينظروا إلى مصارع الأمم الماضية فيعتبروا بهم حتى ينزعوا عما هم فيه من التكذيب ﴿ **ولدار الآخرة خير للذين اتقوا** ﴾ أى لدار الساعة الآخرة ، أو

الحالة الآخرة على حذف الموصوف . وقال الفراء : إن الدار هى الآخرة ، وأضيف الشىء إلى نفسه لاختلاف اللفظ كيوم الجمعة ، وصلاة الأولى ، ومسجد الجامع ، والكلام فى ذلك مبين فى كتب الإعراب ، والمراد بهذه الدار : الجنة ، أى هى خير للمتقين من دار الدنيا ، وقرئ : ﴿**وللدار الآخرة** ﴾ ، وقرأ نافع وعاصم ويعقوب : ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ بالتاء الفوقية على الخطاب وقرأ الباقون بالتحتية .

﴿ **حتى إذا استيأس الرسل** ﴾ هذه الغاية لمحذوف دل عليه الكلام ، وتقديره : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك** ﴾ يا محمد إلا رجالاً ، ولم نعاجل أممهم الذين لم يؤمنوا بما جاؤوا به بالعقوبة ﴿ **حتى إذا استيأس الرسل** ﴾ من النصر بعقوبة قومهم ، أو ﴿ **حتى إذا استيأس الرسل** ﴾ من إيمان قومهم لانهماكهم فى الكفر ﴿ **وظنوا أنهم قد كذبوا** ﴾ قرأ ابن عباس وابن مسعود وأبو عبد الرحمن السلمى وأبو جعفر بن القعقاع والحسن وقتادة وأبو رجاء العطاردى وعاصم وحمزة والكسائى ويحيى بن وثاب والأعمش وخلف ﴿ **كذبوا** ﴾ بالتخفيف أى ظن القوم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروا به من العذاب ولم يصدقوا . وقيل : المعنى : ظن القوم أن الرسل قد كذبوا فيما ادعَوا من نصرهم . وقيل : المعنى : وظن الرسل أنها قد كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون عليهم ، أو كذبهم رجاؤهم للنصر ، وقرأ الباقون : « كذبوا » بالتشديد ، والمعنى عليها واضح ، أى ظن الرسل بأن قومهم قد كذبوهم فيما وعدوهم به من العذاب ، ويجوز فى هذا أن يكون فاعل ظن القوم المرسل إليهم على معنى : أنهم ظنوا أن الرسل قد كذبوا فيما جاؤوا به من الوعد والوعيد . وقرأ مجاهد وحميد : « قد كَذَبوا » بفتح الكاف والذال مخففتين على معنى : وظن قوم الرسل أن الرسل قد كذبوا . وقد قيل : إن الظن فى هذه الآية بمعنى اليقين ؛ لأن الرسل قد تيقنوا أن قومهم كذبوهم ، وليس ذلك مجرد ظن منهم . والذى ينبغى أن يفسر الظن باليقين فى مثل هذه الصورة ويفسر بمعناه الأصلى فيما يحصل فيه مجرد ظن فقط من الصور السابقة .

﴿ **جاءهم نصرنا** ﴾ أى فجاء الرسل نصر الله سبحانه فجأة ، أو جاء قوم الرسل الذين كذبوهم نصر الله لرسله بإيقاع العذاب على المكذبين ﴿ **فنجى من نشاء** ﴾ قرأ عاصم : ﴿**فنجى**﴾ بنون واحدة وقرأ الباقون « **فننجى** » بنونين . واختار أبو عبيدة القراءة الأولى ؛ لأنها فى مصحف عثمان كذلك . وقرأ ابن محيصن : « فنجا » على البناء للفاعل ، فتكون من على القراءة الأولى فى محل رفع على أنها فاعل ، والذين نجاهم الله هم الرسل ومن آمن معهم ، وهلك المكذبون ، ﴿ **ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين** ﴾ عند نزوله بهم ، وفيه بيان من يشاء الله نجاته من العذاب وهم من عدا هؤلاء المجرمين .

﴿ **لقد كان فى قصصهم** ﴾ أى قصص الرسل ومن بعثوا إليه من الأمم ، أو فى قصص يوسف وإخوته وأبيه ﴿ **عبرة لأولى الألباب** ﴾ والعبرة : الفكرة والبصيرة المخلصة من الجهل

والخيرة . وقيل : هى نوع من الاعتبار ، وهى العبور من الطرف المعلوم إلى الطرف المجهول . وأولو الألباب : هم ذوو العقول السليمة الذين يعتبرون بعقولهم فيدرون ما فيه مصالح دينهم ، وإنما كان هذا القصص عبرة لما اشتمل عليه من الإخبارات المطابقة للواقع مع بعد المدة بين النبى ﷺ وبين الرسل الذين قص حديثهم ، ومنهم يوسف وإخوته وأبوه مع كونه لم يطلع على أخبارهم ولا اتصل بأحبارهم ﴿ **ما كان حديثا يفترى** ﴾ أى ما كان هذا المقصوص الذى يدل عليه ذكر القصص وهو القرآن المشتمل على ذلك حديثا يفترى ﴿ **ولكن تصديق الذى بين يديه** ﴾ أى ما قبله من الكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل والزبور وقرئ برفع : « تصديق » ؛ على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو تصديق ، وتفصيل كل شىء من الشرائع المجملة المحتاجة إلى تفصيلها ؛ لأن الله سبحانه لم يفرط فى الكتاب من شىء . وقيل : تفصيل كل شىء من قصة يوسف مع إخوته وأبيه . وقيل : وليس المراد به ما يقتضيه من العموم، بل المراد به الأصول والقوانين وما يؤول إليها ﴿ **وهدى** ﴾ فى الدنيا يهتدى به كل من أراد الله هدايته ﴿ **ورحمة** ﴾ فى الآخرة يرحم الله بها عباده العاملين بما فيه شرط الإيمان الصحيح ، ولهذا قال : ﴿ **لقوم يؤمنون** ﴾ أى يصدقون به وبما تضمنه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائعه وقدره ، وأما من عداهم فلا ينتفع به ولا يهتدى بما اشتمل عليه من الهدى فلا يستحق ما يستحقونه .

وقد أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً** ﴾ قال : أى ليسوا من أهل السماء، كما قلتم . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة فى الآية قال . ما نعلم أن الله أرسل رسولاً قط إلا من أهل القرى لأنهم كانوا أعلم وأحلم من أهل العمود [١] . وأخرج ابن أبى حاتم عن الحسن فى قوله : ﴿ **كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** ﴾ قال : كيف عذب الله قوم نوح وقوم لوط ، وقوم صالح ، والأمم التى عذب الله ؟

وأخرج البخارى وغيره من طريق عروة ؛ أنه سأل عائشة عن قول الله سبحانه : ﴿ **حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا** ﴾ قال : قلت : أكُذِبُوا أم كُذِّبوا ؟ يعنى على هذه الكلمة مخففة أم مشددة ، فقالت : بل كُذِّبوا تعنى بالتشديد ، قلت : والله لقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم فما هو بالظن ؟ قالت : أجل لعمرى لقد استيقنوا بذلك ، فقلت : لعلها ، وظنوا أنهم قد كذبوا مخففة ؟ قالت : معاذ الله لم تكن الرسل لتظن ذلك بربها . قلت : فما هذه الآية ؟ قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عليهم النصر ، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم ، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم ، جاءهم نصر الله عند ذلك [٢] .

---

(١) العمود : بفتح العين : الخشبة القائمة فى وسط الخباء ، والأخبية بيوت أهل البادية ، فقوله : أهل العمود يعنى : أهل البادية كما يدل عليه السياق .

(٢) البخارى فى التفسير (٤٦٩٥) والنسائى فى التفسير (٢٧٥) .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر والطبرانى وأبو الشيخ وابن مردويه عن عبد الله بن أبى مليكة؛ أن ابن عباس قرأها عليه: ﴿**وظنوا أنهم قد كُذبوا** ﴾ مخففة، يقول : أخلفوا ، وقال ابن عباس: كانوا بشرًا ، وتلا : ﴿ **حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله** ﴾ [البقرة : ٢١٤] قال ابن أبى مليكة : وأخبرنى عروة عن عائشة أنها خالفت ذلك وأبته ، وقالت: ما وعد الله رسوله من شيء إلا علم أنه سيكون قبل أن يموت ، ولكنه لم يزل البلاء بالرسل حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم ، وكانت تقرؤها مثقلة [١] . وأخرج ابن مردويه من طريق عروة عن عائشة أن النبى ﷺ قرأ: ﴿**وظنوا أنهم قد كذبوا**﴾ مخففة. وأخرج أبو عبيدة وسعيد ابن منصور والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه من طرق عن ابن عباس أنه كان يقرأ : ﴿ **قد كذبوا** ﴾ مخففة قال : يئس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم بما جاؤوا به[٢] ﴿ **جاءهم نصرنا** ﴾ قال: جاء الرسل نصرنا.

وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر والطبرانى وأبو الشيخ عن تميم ابن حذلم [٣] قال : قرأت على ابن مسعود القرآن فلم يأخذ على إلا حرفين ﴿ **وكل** [٤] **أتوه داخرين** ﴾ [النمل : ٨٧] فقال : أتوه مخففة . وقرأت عليه : ﴿ **وظنوا أنهم قد كذبوا** ﴾ فقال : ﴿ **كذبوا** ﴾ مخففة . قال : استيأس الرسل من إيمان قومهم أن يؤمنوا بهم وظن قومهم حين أبطأ الأمر أنهم قد كذبوا . وأخرج ابن مردويه من طريق أبى الأحوص عنه قال : حفظت عن رسول الله ﷺ فى سورة يوسف : ﴿**وظنوا أنهم قد كذبوا** ﴾ خفيفة وللسلف فى هذا كلام يرجع إلى ما ذكرناه من الخلاف عن الصحابة .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس « فننجى من نشاء » قال : فننجى الرسل ومن نشاء ﴿ **ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين** ﴾ وذلك أن الله بعث الرسل يدعون قومهم ، فأخبروهم أن من أطاع الله نجا ، ومن عصاه عذب وغوى . وأخرج أبو الشيخ عنه قال : ﴿ **جاءهم نصرنا** ﴾ العذاب . وأخرج أبو الشيخ عن السدى ﴿ **ولا يرد بأسنا** ﴾ قال : عذابه .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد فى قوله: ﴿**لقد كان فى قصصهم**﴾ قال : يوسف وإخوته. وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ : ﴿ **عبرة لأولى الألباب** ﴾ قال: معروفة لذوى العقول . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة: ﴿ **ما كان حديثًا يفترى**﴾

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٥٢٤ ، ٤٥٢٥) .

(٢) النسائى فى التفسير (٢٧٧) وابن جرير ١٣ / ٥٤ .

(٣) تميم بن حذلم الضبى ، أبو سلمة الكوفى ، من أصحاب ابن مسعود أدرك أبا بكر وعمر رضى الله عنهما . قال ابن سعد : « كان ثقة قليل الحديث» . (تهذيب التهذيب ١ / ٥١٢ ، ٩٥٢) .

(٤) فى المطبوعة : « كل » .

قال : الفرية : الكذب ﴿ **ولكن تصديق الذى بين يديه** ﴾ قال : القرآن يصدق الكتب التى كانت قبله من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه كالتوراة والإنجيل والزبور ، ويصدق ذلك كله ، ويشهد عليه أن جميعه حق من عند الله ﴿ **وتفصيل كل شىء** ﴾ فصل الله بين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته .